الريحان والعرفان

في مناقب عثمان بن عفان

فضيلة الشيخ:

محمد السيد حسن محمد

السلام للفكر والثقافة
www.sadafi.net

دار مشكاة

للطبع والنشر والتوزيع

عنـوان الكتـاب: الريحان والعرفان في مناقب عثمان بن عفان

جمـع وترتيـب: الشيخ: محمد السيد حسن محمد

إشـــــــراف: مؤسسة السادة

التصـــــــنيف: تاريخ إسلامي

تنســـــــيق: شركة دوام

مراجعـــــــة: بمعرفة المؤلف

تصـميم غـلاف: شركة دوام

رقـــم الإيـــداع: ٢٥/٣١٣٩٩

تـــرقيم دولـــي:

٣٤ شارع يحيي إبراهيم – محمد مظهر – الزمالك - القاهرة

ت/ ٠١١١٤٣٩٨٩٩٤ - ٠١٠١٤٤٤٤٦٤٨ - ٠١٠٠٢٢٦٩٥٤٧

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

المحتوى الأدبي مسؤولية الكاتب بالكامل

تقديم وتمهيد

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على هذا النبي المصطفى الأمين، وعلى وصحبه الغر الميامين.

وبعد:

وقدمت رجلا للتاريخ كان من شأنه أن رغد الناس في زمنه، وكما لو لم يكونوا يوما ما فقراء! وحين ذكر التاريخ أن قد كثر المال في زمن عثمان حتى بيعت جارية بوزنها وفرس بمائة ألف درهم ونخلة بألف درهم[1].

وها هم يقتلونه وعن غنى!

فعن مبارك بن فضالة قال سمعت الحسن يقول سمعت عثمان يخطب وهو يقول يا أيها الناس ما تنقمون علي وما من يوم إلا وأنتم تقسمون فيه خيرا قال الحسن وشهدت مناديا ينادى يا أيها الناس اغدوا على أعطياتكم فيغدون ويأخذونها وافية يا أيها الناس اغدوا على أرزاقكم فيأخونها وافية حتى والله سمعته أذناي يقول اغدوا على كسواتكم فيأخذون الحلل واغدوا على السمن[2].

وإذ وماذا كانوا فاعلين، ولو كان قد تركهم يتكففون الناس؟!

([1])الاستيعاب، ابن عبد البر: ج ٣ / ١٠٤١

([2])الاستيعاب، ابن عبد البر: ج ٣ / ١٠٤١

السلام للفكر والثقافة
www.sadafi.net

قدمت رجلا للتاريخ، لم يجد وقتا لاستحصال زكوات الناس الشخصية!

وإذ ليس لديه من وقت إلا لتوزيع خيرات أفاضتها السماء على بيت مال المسلمين يومه هذا!

قدمت رجلا للتاريخ، وقد كان سمحا، ولما لم يكن البغاة إلا قساة غلاظا!

قدمت رجلا للتاريخ، وها قد فعل ما لم يعتبوا، ولا كانوا أن يجرؤوا أن يعاتبوا من قبله الفاروق؛ ومن شدته في الحق!

وهذه شهادة التاريخ موثقة، وهذه أنباؤه محفورة في سجلاته، جيلا ومن بعد جيل آخر؛ وليعرف التاريخ أيضا!

فعن عبد الله بن عمر قال: لقد عتبوا على عثمان أشياء ولو فعلها عمر ما عتبوا عليه[٣].

أو حتى أبو بكر، ورغم لين قد عرف عنه!

قدمت رجلا للتاريخ، ولولا أنه كان حييا، ولربما قطع على قاتليه جميعا خطوط إمدادهم، وها هم لا زالوا في براريهم، ومن وراء بحارهم! فلم يستطيعوا له نقبا!

قدمت رجلا للتاريخ، حقن دماء أمة كاملة، ولو راح دمه هو!

في إشارة، ولمحة، وتعجب، ونظر عميق!!!

قدمت رجلا أقسم على محبيه ألا ينالوا من قاتليه!

قدمت رجلا فتح الأمصار، وأسلم الأقطار!

([٣])الاستيعاب، ابن عبد البر: ج ٣ / ١٠٤١

السلام للفكر والثقافة
www.sadafi.net

وها هم الذين رباهم يوما يفتون في عضده يوما آخر!

و﴿ هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾ [سورة الرحمن: ٦٠]! ويكأن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله تعالى هابيل وقابيل!

وقال الله تعالى ﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ ۖ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ * لَئِن بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ ۖ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ * إِنِّي أُرِيدُ أَن تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ ۚ وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ﴾[سورة المائدة: ٢٧ – ٢٩]. قدمت رجلا للتاريخ، كان يأمره رعيته، أن يتوب فتاب، وأن يستغفر فاستغفر، وأن يؤوب فآب!

وحين أنبأتنا سجلات تاريخ ليس يكذب، أن عمرو بن العاص قام إلى عثمان وهو يخطب الناس فقال يا عثمان إنك قد ركبت بالناس المهامه وركبوها منك فتب إلى الله عز وجل وليتوبوا قال فالتفت إليه عثمان فقال وإنك لهناك يا بن النابغة ثم رفع يديه واستقبل القبلة وقال أتوب إلى الله اللهم إني أول تائب إليك[٤].

وأسميته: الريحان والعرفان في مناقب عثمان بن عفان.

(٤)الاستيعاب، ابن عبد البر: ج ٣ / ١٠٤١

السلام للفكر والثقافة
www.sadafi.net

اسمه ونسبه

عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس، أمير المؤمنين، أبو عمرو، وأبو عبد الله، القرشي الأموي[٥].

وإذا لم يكن من فضله إلا هو هذا الذي ذكره التاريخ وأنه عرض القرآن كله على النبي محمد صلى الله عليه وسلم لكفاه هذا!

أحد السابقين الأولين، وذو النورين، وصاحب الهجرتين، وزوج الابنتين. قدم الجابية مع عمر. وتزوج رقية بنت رسول الله ﷺ قبل المبعث، فولدت له عبد الله، وبه كان يكنى، وبابنه عمرو[٦].

وكان عثمان فيما بلغنا لا بالطويل، ولا بالقصير، حسن الوجه كبير اللحية أسمر اللون عظيم الكراديس. بعيد ما بين المنكبين يخضب بالصفرة، وكان قد شد أسنانه بالذهب[٧].

والكراديس: رؤوس العظام، واحدها كردوس، وكل عظمين التقيا في مفصل فهو كردوس نحو المنكبين والركبتين والوركين، أراد أنه، صلى الله عليه وسلم، ضخم الأعضاء[٨].

وعن أبي عبد الله مولى شداد، قال: رأيت عثمان يخطب، وعليه إزار غليظ ثمنه أربعة دراهم، وريطة [٩]. كوفية ممشقة، ضرب اللحم -أي خفيفه- طويل اللحية، حسن الوجه[١٠].

وعن عبد الله بن حزم، قال: رأيت عثمان فما رأيت ذكرا ولا أنثى أحسن وجها منه.

---

(٥)كتاب سير أعلام النبلاء - ط الحديث، شمس الدين الذهبي: ٤٤٩/٢
(٦) المرجع السابق: ٤٤٩/٢
(٧)المرجع السابق: ٤٤٩/٢
(٨)لسان العرب، ابن منظور: ج ٦ / ١٩٥
(٩)كنز العمال، المتقي الهندي: ج ١٣ / ٢٠٩
(١٠)كتاب سير أعلام النبلاء - ط الحديث، شمس الدين الذهبي: ٤٥٠/٢

السلام للفكر والثقافة
www.sadat.net

عن الحسن قال: رأيته وبوجهه نكتات جدرى، وإذا شعره قد كسا ذراعيه.

وعن السائب، قال: رأيته يصفر لحيته، فما رأيت شيخا أجمل منه.

وعن أبي ثور الفهمي قال: قدمت على عثمان فقال: لقد اختبأت عند ربي عشرا: إني لرابع أربعة في الإسلام، وما تعتيت ولا تمنيت، ولا وضعت يميني على فرجي منذ بايعت بها رسول الله ﷺ، ولا مرتب بي جمعة منذ أسلمت إلا وأنا أعتق فيها رقبة، إلا أن لا يكون عندي فأعتقها بعد ذلك، ولا زنيت في جاهلية ولا إسلام قط[١١].

ذو النورين

وعن الحسن قال: إنما سمي عثمان "ذا النورين"؛ لأنا لا نعلم أحدا أغلق بابه على ابنتي نبي غيره[١٢].

وهذا حبه صلى الله عليه وسلم لعثمان رضي الله تعالى عنه: فعن عائشة أم المؤمنين: يا عثمان إنه لعل الله يقمصك قميصا، فإن أرادوك على خلعه فلا تخلعه لهم[١٣].

جيش العسرة

وعن عبد الرحمن بن سمرة قال: جاء عثمان إلى النبي ﷺ بألف دينار في ثوبه، حين جهز جيش العسرة، فصبها في حجر النبي ﷺ، فجعل يقلبها بيده ويقول: "ما ضر عثمان ما عمل بعد اليوم". رواه أحمد في "مسنده" وغيره[١٤].

---

(١١)تاريخ مدينة دمشق، ابن عساكر: ج٣٩ / ٢٧

(١٢)كتاب سير أعلام النبلاء - ط الحديث، شمس الدين الذهبي: ٤٥١/٢

(١٣)صحيح الترمذي، الألباني: ٣٧٠٥

(١٤) المرجع السابق: ٤٥١/٢

السلام للفكر والثقافة
www.sadat.net

جاء عثمان إلى النبي صلى الله عليه وسلم بألف دينار قال الحسن بن واقع: وفي موضع آخر من كتابي، في كمه حين جهز جيش العسرة فينثرها في حجره. قال عبد الرحمن: فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم يقلبها في حجره ويقول ما ضر عثمان ما عمل بعد اليوم مرتين[١٥].

ما ضر عثمان ما فعل بعد اليوم

ولكن هذا لا ينسينا عمل ذي النورين، عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه، وحين سمع النبي صلى الله عليه وسلم يحفز الناس، على تجهيز جيش العسرة، ولما كان مبادرا رضي الله تعالى عنه، وحين تكفل بثلاث مائة بعير بأحلاسها وأقتابها.

وهاتان صورتان ماثلتان، وحين كان الإرجاف يعمل عمله في تثبيط همم المؤمنين، وتخويف الصحب الغر الميامين.

وأما في الجانب الآخر فهذا هو عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه، يقدم ما به تقر عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأنه وإن وجد في الصف ما يعكر صفوه، فإن فيه أيضا ما يبقي رونقه، ولمعانه، وبريقه، مضيئا ساطعا، منيرا، مشرقا.

وإلا أنه قد جاءت روايتان في عمل عثمان هذا.

فأما الرواية الأولى: فقد كانت بأنه وضع ألف دينار في حجر نبينا محمد صلى الله عليه وسلم؛ ولتجهيز جيش يوم العسرة، جيش تبوك.

([١٥])صحيح الترمذي، الألباني: ٣٧٠١، خلاصة حكم المحدث: حسن.

السلام للفكر والثقافة
www.sadafu.net

فعن عبد الرحمن بن سمرة جاءَ عثمانُ إلى النَّبيِّ صلَّى اللَّهُ علَيهِ وسلَّمَ بألفِ دينارٍ قالَ الحسَنُ بنُ واقعٍ: وفي موضعٍ آخرَ من كتابي، في كمِّهِ حينَ جَهَّزَ جيشَ العُسرةِ فينثرُها في حجرِهِ. قالَ عبدُ الرَّحمنِ: فرأيتُ النَّبيَّ صلَّى اللَّهُ علَيهِ وسلَّمَ يقلِّبُها في حجرِهِ ويقولُ: ما ضرَّ عثمانَ ما عَمِلَ بعدَ اليومِ مرَّتينِ[١٦].

وأما الرواية الأخرى: فهي بخصوص الثلاث مائة الناقة.

فعَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ خَبَّابٍ، قَالَ: شَهِدْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يَحُثُّ عَلَى جَيْشِ الْعُسْرَةِ فَقَامَ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ عَلَيَّ مِائَةُ بَعِيرٍ بِأَحْلاَسِهَا وَأَقْتَابِهَا فِي سَبِيلِ اللهِ، ثُمَّ حَضَّ عَلَى الجَيْشِ فَقَامَ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ عَلَيَّ مِائَتَا بَعِيرٍ بِأَحْلاَسِهَا وَأَقْتَابِهَا فِي سَبِيلِ اللهِ، ثُمَّ حَضَّ عَلَى الجَيْشِ فَقَامَ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ عَلَيَّ ثَلاَثُ مِائَةِ بَعِيرٍ بِأَحْلاَسِهَا وَأَقْتَابِهَا فِي سَبِيلِ اللهِ، فَأَنَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَنْزِلُ عَنِ الْمِنْبَرِ وَهُوَ يَقُولُ: مَا عَلَى عُثْمَانَ مَا عَمِلَ بَعْدَ هَذِهِ، مَا عَلَى عُثْمَانَ مَا عَمِلَ بَعْدَ هَذِهِ[١٧].

وأقول: وليس يمنع من اجتماعهما معا؛ ولفضل منه قد عهد؛ ولجود منه قد عرف.

وهذا بيان لفضل عثمان ومناقبه، بذلا وإنفاقا، ولتجهيز جيش العسرة، ولضيق ذات اليد عند نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، وليسخر الله تعالى له ذا النورين، زوج ابنتيه، رقية وأم كلثوم رضي الله تعالى عنهما، عثمان بن عفان رضي الله عنه، وليقوم بمثل عمل هكذا، كان سببا في اطمئنانه وأمنه وسلامته يوم القيامة.

([١٦])صحيح الترمذي، الألباني: ٣٧٠١

([١٧])سنن الترمذي: حديث رقم: ٣٧٠٠

السلام للفكر والثقافة
www.sadat.net

وهذا هو عثمان بن عفان رضي الله تعالى، وإذ كان يكفي ومن مثل ذلكم بذل، وأن يكون ردا على تغيبه، وعن غزوة بدر العظمى، وحين كان يمرض زوجه رقية رضي الله تعالى عنهما، وبأمر من القائد الأعلى للقوات المسلحة يومها، نبينا محمد صلى الله عليه وسلم. وقد عالجنا هذا الأمر في حينه، ومن هذه السيرة النبوية المباركة.

وهذا هو عثمان ين عفان رضي الله تعالى، وإذ وصفه نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، وأنه أصدق أمته حياء!

فعن عبد الله بن عمر أن نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم قال: أرْأَف أمتي بأمتي أبو بكرٍ، وأشدُّهم في دينِ اللهِ عمرَ، وأصدقُهم حياءً عثمانُ، وأقضاهم عليٌّ، وأفرضُهم زيدُ بنُ ثابتٍ، وأقرؤهم أُبَيٌّ، وأعلمُهم بالحلالِ والحرامِ معاذُ بنُ جبلٍ، ألا وإنَّ لكلِّ أمةٍ أمينًا، وأمينُ هذه الأمةِ أبو عبيدةَ بنُ الجرَّاحِ[١٨].

وهذا هو عثمان بن عفان رضي الله تعالى، وحين كان مبشرا بالجنة، وما بعدها ولا قبلها بشرى، يرجوها آحاد الناس! وذلك: أنَّ عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عنْه حِينَ حُوصِرَ، أَشْرَفَ عليهم وقالَ: أَنْشُدُكُمُ اللَّهَ، ولَا أَنْشُدُ إلَّا أَصْحَابَ النبيِّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أنَّ رَسولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ قالَ: مَن حَفَرَ رُومَةَ فَلَهُ الجَنَّةُ، فَحَفَرْتُهَا؟ أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أنَّهُ قالَ: مَن جَهَّزَ جَيْشَ العُسْرَةِ فَلَهُ الجَنَّةُ، فَجَهَّزْتُهُمْ؟ قالَ: فَصَدَّقُوهُ بما قالَ[١٩].

وهذا الذي كان منه بشرا بالجنة ومن في هذا النبي محمد صلى الله عليه وسلم وحين قد بشر بها غيرة مرة أيضا رصيدا صار مضاعفا ومستقبلا ألفيناه ميمونا ولمثل عثمان بن عفان ذي النورين.

([١٨])صحيح الجامع، الألباني: ٨٦٨
([١٩])صحيح البخاري: ٢٧٧٨

السلام للفكر والثقافة
www.sadat.net

فعن أبي موسى الأشعري، قال: بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم، في حائط من حائط المدينة وهو متكئ يركز بعود معه بين الماء والطين، إذا استفتح رجل، فقال: افتح وبشره بالجنة قال: فإذا أبو بكر، ففتحت له وبشرته بالجنة، قال ثم استفتح رجل آخر، فقال: افتح وبشره بالجنة قال: فذهبت فإذا هو عمر، ففتحت له وبشرته بالجنة، ثم استفتح رجل آخر، قال فجلس النبي صلى الله عليه وسلم فقال: افتح وبشره بالجنة على بلوى تكون قال: فذهبت فإذا هو عثمان بن عفان، قال: ففتحت وبشرته بالجنة، قال وقلت الذي قال، فقال: اللهم صبرا، أو الله المستعان حدثنا أبو الربيع العتكي، حدثنا حماد، عن أيوب، عن أبي عثمان النهدي، عن أبي موسى الأشعري، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل حائطا وأمرني أن أحفظ الباب، بمعنى حديث عثمان بن غياث[٢٠].

(٢٠)صحيح مسلم: ٤٥٤٣

السلام للفكر والثقافة
www.sadafnet

من أوقاف عثمان

بئر رومة

وهذا عمل بر وهذا تكافل اجتماعي ولطالما توافر عليه ذو النورين! وحين جاء عن أبي مسعود الجريري عن ثمامة بن حزن القشيري، قال: شهدت الدار حين أشرف عليهم عثمان. فقال: ائتوني بصاحبيكم اللذين ألباكم علي، قال: فجيء بهما كأنهما جملان أو كأنهما حماران قال: فأشرف عليهم عثمان، فقال: أنشدكم بالله والإسلام، هل تعلمون أن رسول الله، صلى الله عليه وسلم قدم المدينة وليس بها ماء يستعذب غير بئر رومة؟ فقال: (من يشتري بئر رومة يجعل دلوه مع دلاء المسلمين بخير له منها في الجنة، فاشتريتها من صلب مالي، فأنتم اليوم تمنعوني أن أشرب منها حتى أشرب من ماء البحر؟ فقالوا: اللهم نعم، فقال: أنشدكم بالله والإسلام هل تعلمون أن المسجد ضاق بأهله، فقال رسول الله، صلى الله عليه وسلم: (من يشتري بقعة آل فلان فيزيدها في المسجد بخير له منها في الجنة، فاشتريتها من صلب مالي، فأنتم اليوم تمنعوني أن أصلي فيها ركعتين؟) قالوا اللهم نعم، قال: أنشدكم بالله والإسلام، هل تعلمون أني جهزت جيش العسرة من مالي؟ قالوا اللهم نعم: أنشدكم بالله والإسلام، هل تعلمون أن رسول الله، صلى الله عليه وسلم كان على ثبير مكة ومعه أبو بكر وعمر، رضي الله تعالى عنهما، وأنا، فتحرك الجبل حتى تساقطت حجارته بالحضيض، فركضه برجله، فقال: إسكن ثبير، فإنما عليك نبي وصديق وشهيدان؟ قالوا: اللهم نعم. قال: الله أكبر شهدوا ورب الكعبة إني شهيد ثلاثة). هذا حديث حسن، ورواه النسائي أيضا وزاد من رواية الأحنف عن عثمان، فقال: (لأجعلها سقاية للمسلمين وأجرها لك)، وعن النسائي

السلام للفكر والثقافة
www.sadat.net

أيضا من رواية الأحنف: (أن عثمان اشتراها بعشرين ألفا أو بخمسة وعشرين ألفا، وزاد في جيش العسرة، فجهزتهم حتى لم يفقدوا عقالا ولا خطاما)[٢١].

الفاروق الثالث!

وهذا حديث يبين منه قيمته وتظهر منه قمته ومن نقل ولده عبدالله بن عمر، وحين قال: كنا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم لا نعدل بأبي بكر أحدا، ثم عمر، ثم عثمان، ثم نترك أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، لا نفاضل بينهم[٢٢].

علمه وجمعه:

وإليه يرجع جمع القرآن الكريم، ومما سوف يلي إن شاء الله تعالى.

ومما كان علمه بالمناسك مباينا غيره في هذا، ولأن العلم بأوامر الله تعالى ونواهيه، وإنما كيما يتعبد الناس ربهم تعالى على بصيرة من أمرهم، ويكأنه العلم، وحين كان نورا، وإنما أهدي إليه إهداء، ولأنه نور، ونور الله تعالى لا يهدى لعاص!

وقال الشعبي: لم يجمع القرآن أحد من الخلفاء من الصحابة غير عثمان، ولقد فارق علي الدنيا وما جمعه[٢٣].

وقال ابن سيرين: كان أعلمهم بالمناسك عثمان، وبعده ابن عمر[٢٤].

([٢١])عمدة القاري، العيني: ج ١٤ / ٧٢
([٢٢])صحيح البخاري: ٣٦٩٧
([٢٣])كتاب سير أعلام النبلاء - ط الحديث، شمس الدين الذهبي: ٢/ ٤٥٤
([٢٤]) المرجع السابق: ٢/ ٤٥٤

السلام للفكر والثقافة
www.sadafi.net

وصية النبي صلى الله عليه وسلم به

وهذا حديث صحيح الإسناد، وإن كان فيه وهن ومن متنه، وإلا أنه يشفع له قيمة عثمان عند النبي محمد صلى الله عليه وسلم. ولا سيما انه قد جاء معه ما يعضده ويقويه ومنم معناه هذا.

فعن أبي هريرة: دخلت على رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم امرأة عثمان وبيدها مشط، فقالت: خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من عندي آنفا ، رجلت رأسه، فقال لي: كيف تجدين أبا عبد الله؟ قلت: كخير الرجال، قال: أكرميه؛ فإنه من أشبه أصحابي بي خلقا[٢٥].

هاجر الهجرتين

وليس يكون كذلكم أحد وإلا من جهاده في ربه تعالى ومولاه الحق المبين صابرا محتسبا ذا جلد!

المسور بن مخرمة وعبدالرحمن بن الأسود: ما يمنعك أن تكلم عثمان لأخيه الوليد؟ فقد أكثر الناس فيه، فقصدت لعثمان حتى خرج إلى الصلاة، قلت: إن لي إليك حاجة، وهي نصيحة لك، قال: يا أيها المرء -قال معمر: أراه قال:- أعوذ بالله منك، فانصرفت، فرجعت إليهم إذ جاء رسول عثمان فأتيته، فقال: ما نصيحتك؟ فقلت: إن الله سبحانه بعث محمدا صلى الله عليه وسلم بالحق، وأنزل عليه الكتاب، وكنت ممن استجاب لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم، فهاجرت الهجرتين، وصحبت رسول الله صلى الله عليه وسلم، ورأيت هديه، وقد أكثر الناس في شأن الوليد، قال: أدركت رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قلت: لا، ولكن خلص إلي من علمه ما يخلص إلى العذراء في سترها، قال: أما بعد؛ فإن الله بعث محمدا صلى الله عليه وسلم بالحق، فكنت ممن استجاب لله ولرسوله، وآمنت بما بعث به، وهاجرت الهجرتين، كما قلت، وصحبت

([٢٥])المستدرك على الصحيحين الحاكم: ٧٠٤٦، خلاصة حكم المحدث : حديث صحيح الإسناد، واهي المتن، فإن رقية ماتت سنة ثلاث من الهجرة عند فتح بدر، وأبو هريرة إنما أسلم بعد فتح خيبر.

السلام للفكر والثقافة
www.sadafnet

رسول الله صلى الله عليه وسلم وبايعته، فوالله ما عصيته ولا غششته حتى توفاه الله عز وجل، ثم أبو بكر مثله، ثم عمر مثله، ثم استخلفت، أفليس لي من الحق مثل الذي لهم؟ قلت: بلى، قال: فما هذه الأحاديث التي تبلغني عنكم؟ أما ما ذكرت من شأن الوليد، فسنأخذ فيه بالحق إن شاء الله، ثم دعا عليا، فأمره أن يجلده، فجلده ثمانين [٢٦].

أوتي أجرين!

عن عبد الله بن عمرو رضي الله تعالى عنه قال أبو بكر الصديق أصبتم اسمه عمر قرن من حديد عثمان ذو النورين أصبتم اسمه قتل مظلوما أوتي كفلين من الأجر [٢٧].

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص، قال : عثمان بن عفان رضي الله عنه ذو النورين قتل مظلوما، أوتي كفلين من الأجر [٢٨].

ثناء علي عليه

عن النزال بن سبرة قال: سألنا عليا عن عثمان قال: ذاك امرؤ يدعى في الملأ الأعلى ذا النورين ختن رسول الله صلى الله عليه وسلم على ابنتيه ضمن له رسول الله صلى الله عليه وسلم بيتا في الجنة [٢٩].

هل جاء وصف عثمان في الكتب السابقة؟

عن الأقرع مؤذن عمر بن الخطاب بعثني عمر إلى الأسقف فدعوته فقال له عمر وهل تجدني في الكتاب قال نعم قال كيف تجدني قال أجدك قرنا فرفع عليه الدرة فقال قرن مه فقال قرن

([٢٦]) صحيح البخاري: ٣٦٩٦
([٢٧])المعجم الكبير، الطبراني: ١٣٩
([٢٨])معرفة الصحابة لأبي نعيم الأصبهاني: ٢٢١
([٢٩])كنز العمال، المتقي الهندي: ٣٦١٨١

السلام للفكر والثقافة
www.sadat.net

حديد أمين شديد قال كيف تجد الذي يجيء من بعدي فقال أجده خليفة صالحا غير أنه يؤثر قرابته قال عمر يرحم الله عثمان ثلاثا فقال كيف تجد الذي بعده قال أجده صدأ حديد فوضع عمر يده على رأسه فقال يا دفراه يا دفراه فقال يا أمير المؤمنين إنه خليفة صالح ولكنه يستخلف حين يستخلف والسيف مسلول والدم مهراق[٣٠].

والحديث، وكما قد رأينا فيه ضعف، ولعله ومن متنه، ولنكارة ذلكم وصف، للإمام علي رضي الله تعالى عنه.

وهل يمكن اعتباره على سبيل الندبة والتوجع والتأوه ومن قتل الفئة الباغية له رضي الله تعالى عنه؟

ولا سيما مراجعة كعب الأحبار للفاروق وتوضيحه عن قصده!

ولا سيما وما جاء من حديث عمر بن ربيعة: "أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أرسل إلى كعب الأحبار، فقال: يا كعب! كيف تجد نعتي؟ قال: أجد نعتك قرنا من حديد. قال: وما قرن من حديد؟ قال: أمير شديد لا تأخذه في الله لومة لائم. قال: ثم مه؟ قال: ثم يكون من بعدك خليفة تقتله فئة ظالمة. قال: ثم يكون البلاء". رواه الطبراني. قال الهيثمي: "ورجاله ثقات".

ويبقى القول إن ما جاء عن أحد، وإنما ينظر فيه، وعما إذا كان موافقا لنص من قرآن، وحديث عن النبي العدنان، وإنما يعتد به، وما كان خلافا لهما، أو أحدهما، وإنما يطرح، وحين لم يوقف له على تأويل صالح.

---

(٣٠)ضعيف أبي داود، الألباني: ٤٦٥٦

السلام للفكر والثقافة
www.sadafi.net

ومنه هذا الذي جاء عن وصف الفاروق أو عثمان أو علي؛ ولأنه عندنا من الصحيح ما فيه غنية عنه، وحين التباس فهمه، أو غموض أو تأويل حول معناه.

وقولنا هذا، وإنما يتأيد أكثر؛ ومن رواية جاءت خالية عن ذكر علي رضي الله عنه، وحين قال: وذكر ابن الجوزي عن الأقرع مؤذن عمر رضي الله عنه أن عمر مر على الأسقف، فقال: "هل تجدونا في شيء من كتبكم؟ " فقالوا: نجد صفتكم وأعمالكم، ولا نجد أسماءكم". قال: "كيف تجدوني؟ " قال: "قرن من حديد"، قال: "قرن من حديد ماذا؟ " قال: "أمير شديد"، قال عمر: "الله أكبر الحمد لله"[٣١].

(٣١)كتاب محض الصواب في فضائل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، ابن المبرد: ١٣٩/١

السلام للفكر والثقافة
www.sadaf.net

جمع القرآن في عهد عثمان بن عفان

هذا مبحث هام، وإنما كانت أهميته؛ ومن تعلقه بكتاب ربنا تعالى، ومن مناسبته أيضا، وحين قال أنس: إن حذيفة قدم على عثمان، وكان يغزو مع أهل العراق قبل أرمينية، فاجتمع في ذلك الغزو أهل الشام وأهل العراق، فتنازعوا في القرآن حتى سمع حذيفة من اختلافهم ما يكره، فركب حتى أتى عثمان فقال: يا أمير المؤمنين أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا في القرآن اختلاف اليهود والنصارى في الكتب. ففزع لذلك عثمان فأرسل إلى حفصة أم المؤمنين: أن أرسلي بالصحف التي جمع فيها القرآن، فأرسلت إليه بها فأمر زيد بن ثابت، وسعيد بن العاص وعبد الله بن الزبير، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام، أن ينسخوها في المصاحف وقال: إذا اختلفتم أنتم وزيد في عربية فاكتبوها بلسان قريش، فإن القرآن إنما نزل بلسانهم. ففعلوا حتى كتبت المصاحف، ثم رد عثمان الصحف إلى حفصة، وأرسل إلى كل جند من أجناد المسلمين بمصحف، وأمرهم أن يحرقوا كل مصحف يخالف المصحف الذي أرسل إليهم به، فذلك زمان حرقت فيه المصاحف بالنار[٣٢].

وقال مصعب بن سعد بن أبي وقاص: خطب عثمان الناس، فقال: أيها الناس، عهدكم بنبيكم بضع عشرة، وأنتم تمترون في القرآن، وتقولون: قراءة أبي، وقراءة عبد الله، يقول الرجل: والله ما تقيم قراءتك، فأعزم على كل رجل منكم كان معه من كتاب الله شيء لما جاء به. فكان الرجل يجيء بالورقة والأديم فيه القرآن، حتى جمع من ذلك كثيرا ثم دخل عثمان، فدعاهم رجلا رجلا، فناشدهم: أسمعته من رسول الله ﷺ، وهو أمله عليك؟ فيقول: نعم، فلما فرغ من ذلك قال: من

(٣٢) كتاب سير أعلام النبلاء - ط الحديث، شمس الدين الذهبي: ٤٥٥٥/٢

السلام للفكر والثقافة
www.sadal.net

أكتب الناس؟ قالوا: كاتب رسول الله ﷺ زيد بن ثابت، قال: فأي الناس أعرب؟ قالوا: سعيد بن العاص، قال عثمان: فليمل سعيد وليكتب زيد، فكتب مصاحف ففرقها في الناس[٣٣].

وهذا الذي كان منه سننه واقتداؤه بالنبي محمد صلى الله عليه وسلم، وحين كان زيد كاتبا، ومن كتبة الوحي، وحين خصه عثمان، وحين استعمله لذلكم عمل صالح.

فعن قتادة، قال: سمعت أنسا، يقول: جمع القرآن على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، أربعة، كلهم من الأنصار: معاذ بن جبل، وأبي بن كعب، وزيد بن ثابت، وأبو زيد . قال قتادة: قلت لأنس: من أبو زيد ؟ قال: أحد عمومتي[٣٤].

علم نبوة ضاف

ووصف لعثمان واف

هذا علم نبوة ضاف، ووصف لعثمان واف، وحين كان منه وصفه لعثمان، أنه على هدى! ويوم فتنة ستقوم، ولما لم تقم بعد! فدل على كم كان ذلك علما ضافيا، على نبوة هذا النبي محمد صلى الله عليه وسلم.

فعن كعب بن عجرة: ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم فتنة فقربها فمر رجل مقنع رأسه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا يومئذ على الهدى فوثبت فأخذت بضبعي عثمان ثم استقبلت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت هذا قال هذا[٣٥].

([٣٣]) المرجع السابق: ٤٥٥٥/٢
([٣٤])صحيح مسلم: ٤٦٣٤
([٣٥])صحيح ابن ماجه، الألباني: ٨٩

السلام للفكر والثقافة
www.sadafi.net

وعن أبي الأشعث الصنعاني: أن خطباء قامت بالشام وفيهم رجال من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقام آخرهم رجل يقال له: مرة بن كعب، فقال: لولا حديث سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قمت وذكر الفتن فقربها، فمر رجل مقنع في ثوب فقال: هذا يومئذ على الهدى، فقمت إليه فإذا هو عثمان بن عفان . فأقبلت عليه بوجهه، فقلت: هذا ؟ قال: نعم[٣٦].

وهذا الذي كان منه يوم حصاره، ويوم أرادوا خلعه عن إمامته، ونزعه من خلافته!

وتتأيد كل هذا الأخبار؛ كونها علما على النبوة، ولأنها نعوت على خلافة النبوة، وكونها دأبا على الافتئات على آثارها أيضا!

فعن عائشة أم المؤمنين: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرضه: وددت أن عندي بعض أصحابي قلنا: يا رسول الله، ألا ندعو لك أبا بكر؟ فسكت، قلنا: ألا ندعو لك عمر ؟ فسكت قلنا: ألا ندعو لك عثمان؟ قال: نعم، فجاء، فخلا به، فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يكلمه، ووجه عثمان يتغير قال: قيس، فحدثني أبو سهلة مولى عثمان، أن عثمان بن عفان، قال يوم الدار: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد إلي عهدا، فأنا صائر إليه وقال علي في حديثه: وأنا صابر عليه، قال قيس: فكانوا يرونه ذلك اليوم[٣٧].

([٣٦])صحيح الترمذي، الألباني: ٣٧٠٤
([٣٧])صحيح ابن ماجه، الألباني: ٩١

السلام للفكر والثقافة
www.sadaf.net

وهذه منقبة فريدة وتلك مزية عظيمة انباك عنها صفاء قلوبهم، ونقاء سرائرهم، ومحبتهم لبعضهم، وحب الخير لهم: عن عبد الرحمن بن الشرود، أن عليا قال: إني لأرجو أن أكون أنا وعثمان ممن قال الله تعالى: ونزعنا ما في صدورهم من غل إخوانا على سرر متقابلين[٣٨].

وتتبدى أعلام نبوة هذا النبي صلى الله عليه وسلم، وحينا ومن بعد حين آخر، وحين كان منها إعلامه أن أولاء الرهط الكرام الغر البررة الميامين العشرة في الجنة.

وهذا الذي كان منه أنهم عاشوا هذه الحقيقة! وعيشهم إياها كان قد فعل فيهم العمل، وجندوا ذوات أنفسهم لطاقات خلابة، من العمل الدائب، وحين لم يركنوا إلى هكذا شهادة النبي صلى الله عليه وسلم، والذي منه أنهم أعملوا التوكل على حقيقته، وإذ لم يكن تواكلا، ولو من طرف خفي أو آخر جلي!

فعن عبد الرحمن بن الشرود، أن عليا قال: إني لأرجو أن أكون أنا وعثمان ممن قال الله تعالى: ونزعنا ما في صدورهم من غل إخوانا على سرر متقابلين[٣٩].

وحين كانت الفتنة عارمة، ولما قتل الخلفية عثمان رضي الله عنه، وقد رأينا كيف نسخ التاريخ عمل القوم، وحين لم يصل عليه يومه هذا إلا خمسة وعلى تقدير أدنى، أو اثنا عشر وعلى تقدير أعلى!

([٣٨])تاريخ الإسلام، الذهبي: ج ٣ / ٤٧٩
([٣٩]) المرجع السابق: ج ٣ / ٤٧٩

السلام للفكر والثقافة
www.sadat.net

ألا أستحي من رجل تستحي منه الملائكة!

عن عائشة أم المؤمنين: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مضطجعا في بيتي، كاشفا عن فخذيه -أو ساقيه- فاستأذن أبو بكر، فأذن له وهو على تلك الحال، فتحدث، ثم استأذن عمر، فأذن له وهو كذلك، فتحدث، ثم استأذن عثمان، فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم وسوى ثيابه - قال محمد: ولا أقول ذلك في يوم واحد- فدخل فتحدث، فلما خرج قالت عائشة: دخل أبو بكر فلم تهتش له ولم تباله، ثم دخل عمر فلم تهتش له ولم تباله، ثم دخل عثمان فجلست وسويت ثيابك، فقال: ألا أستحي من رجل تستحي منه الملائكة[٤٠]!

ولكنك وقفت على أن الوضوء سبب للمغفرة، وكفى بها نعمة. وحين يتبعه العبد بصلاة ركعتين من غير الفريضة، وإذ كان من وصفها أنه لا يحدث بهما نفسه.

فعن حمران مولى عثمان بن عفان أنه رأى عثمان بن عفان دعا بوضوء، فأفرغ على يديه من إنائه، فغسلهما ثلاث مرات، ثم أدخل يمينه في الوضوء، ثم تمضمض واستنشق واستنثر، ثم غسل وجهه ثلاثا ويديه إلى المرفقين ثلاثا، ثم مسح برأسه، ثم غسل كل رجل ثلاثا، ثم قال: رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يتوضأ نحو وضوئي هذا، وقال: من توضأ نحو وضوئي هذا، ثم صلى ركعتين لا يحدث فيهما نفسه، غفر الله له ما تقدم من ذنبه[٤١].

وإلا أنه صلى الله عليه وسلم كان قد دفع من مزدلفة قبل أن تطلع الشمس.

فعن عبد الله بن عباس: خرجنا مع عبد الله رضي الله عنه إلى مكة، ثم قدمنا جمعا، فصلى الصلاتين، كل صلاة وحدها بأذان وإقامة، والعشاء بينهما، ثم صلى الفجر حين طلع الفجر، قائل

([٤٠])صحيح مسلم: ٢٤٠١
([٤١])صحيح البخاري: ١٦٤

السلام للفكر والثقافة
www.sadafu.net

يقول: طلع الفجر، وقائل يقول: لم يطلع الفجر، ثم قال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: إن هاتين الصلاتين حولتا عن وقتهما في هذا المكان: المغرب والعشاء، فلا يقدم الناس جمعا حتى يعتموا، وصلاة الفجر هذه الساعة، ثم وقف حتى أسفر، ثم قال: لو أن أمير المؤمنين أفاض الآن أصاب السنة. فما أدري: أقوله كان أسرع أم دفع عثمان رضي الله عنه، فلم يزل يلبي حتى رمى جمرة العقبة يوم النحر[٤٢].

وجلال كل شيء: غطاؤه نحو الحجلة وما أشبهها. وتجليل الفرس: أن تلبسه الجل، وتجلله أي علاه. وفي الحديث: أنه جلل فرسا له سبق بردا عدنيا أي جعل البرد له جلا. وفي حديث ابن عمر: أنه كان يجلل بدنه القباطي. وفي حديث علي: اللهم جلل قتلة عثمان خزيا أي غطهم به وألبسهم إياه كما يتجلل الرجل بالثوب[٤٣].

مشروعية المبيت بمكة أيام التشريق لعذر

ولكن هذا العباس عم نبينا صلى الله عليه وعلى آله وسلم، وليستأذنه المبيت بمكة أيام التشريق؛ وأجل سقاية الحجيج، وحين كانت فيهم أولا، وهي الآن فيهم، وباقية فيهم أيضا. ويأذنه له النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم.

وفيه جواز المبيت بمكة لأهل الأعذار؛ وقياسا على هكذا عذر العباس، وهذا يسر ديننا، ورفعه الحرج عن العباد، وكما مر آنفا، وكما سيأتي لا حقا، وأبدا.

([٤٢])صحيح البخاري: ١٦٨٣

([٤٣])لسان العرب، ابن منظور: ج ١١/ ١١٩

السلام للفكر والثقافة
www.sadal.net

فعن عبد الله بن عمر استأذن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبيت بمكة ليالي منى، من أجل سقايته، فأذن له[٤٤].

ولكنه ص كان يصلي في منى قصرا. بلا جمع. ولحديث: صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بمنى ركعتين، وأبو بكر بعده، وعمر بعد أبي بكر، وعثمان صدرا من خلافته، ثم إن عثمان صلى بعد أربعا[٤٥].

واختلف هل هذا القصر عام لجميع الحجاج أم أن اهل مكة خارجه فيتمون. والمسألة على قولين.

وأما القول الأول: فإن القصر عام: ولأنه صلى الله عليه وسلم صلى قصرا ولم يأمر أهل مكة بالإتمام. ولحديث عبد الله ابن عمر رضي الله عنهما، آنفا توا، وحين قال: صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بمنى ركعتين، وأبو بكر بعده، وعمر بعد أبي بكر، وعثمان صدرا من خلافته، ثم إن عثمان صلى بعد أربعا[٤٦].

وأما القول الثاني: فإن القصر خاص بغير أهل مكة: ولنفس الحديث السابق؛ ولأنه عثمان، وحين صلى أربعا، وإنما ولأنه كان من أهل مكة. فدل على خروج أهل مكة من رخصة القصر.

([٤٤])صحيح البخاري: ١٦٣٤
([٤٥]) المرجع السابق:
([٤٦])المرجع السابق: ١٠٨٢

السلام للفكر والثقافة
www.sadafi.net

هل تجب على الجنين؟

وإن القول بجوب زكاة الفطر، على الجنين، هو قول لا دليل صحيحا عليه، ولأنه ليس محلا لها، ولا موضوعا، وأخرجها أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه، عن الجنين إذا نفخ فيه روحه، وإنما أخذه أهل العلم استحبابا.

تخلفه عن غزوة بدر

لم يعاتب الله أحدا تخلف يوم بدر، ولأن من تخلف كان معذورا، كعثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه، لتطبيب رقية زوجه، وكانت في مرض موتها، وطلحة وسعيد بن زيد، بعثهما ﷺ يتجسسان عير قريش. وكان أبو لبابة ممن تخلف عن بدر؛ ولأنه ﷺ أنابه على المدينة، وعاصم بن عدي استخلفه على أهل العالية، وبعضهم كسر كالحارث، فردهم إلى المدينة.

أرسل نبينا ﷺ صحابيين، يبشران المدينة بنصر الله له في بدر، وكيما يخرجوا مهنئين فرحين، ليعم الفرح مجتمع الأمة بأسرها، بحدث كان كيوم بدر سننا وهديا.

ولايفوتنا ذكر أن رقية بنت نبينا ﷺ قد ماتت وهو في معمعة بدر ويوم أن راح وخلف عثمان زوجها معها لتمريضها عنوان مصلحة الأمة العظمى أولا!

فلمّا تُوفيت تولّى عثمان دفنها وكان ذلك في اليوم الذي جاء به زيد بن حارثة إلى المدينة حاملاً خبر انتصار المسلمين في غزوة بدر الكبرى[٤٧].

إن نبينا ﷺ كان أبا حليما، وراعيا رؤوفا، لكن هذا لم يمنعه مغادرة ابنته رقية طريحة فراش مرضها، وإذ كانت غزوة بدر أعظم، ولامتزاج حلم وحزم مؤتلفين.

([٤٧])

السلام للفكر والثقافة
www.sadafu.net

عن عثمان بن عفان: ما لي أراكَ قد جَفَوتَ أميرَ المؤمنينَ عُثمانَ ؟ فقالَ لَهُ عبدالرحمن: أبلِغهُ أنّي لم أفرَّ يومَ عينينِ، - قالَ عاصمٌ: يقولُ يومَ أُحُدٍ – ولم أتخلق يومَ بدرٍ، ولم أترُكْ سنَّةَ عُمرَ، قالَ: فانطلقَ فخبَّرَ ذلِكَ عثمانَ، فقالَ له أمَّا قولُهُ أنّي لم أفرَّ يومَ عينينَ، فَكَيفَ يعيّرُني بذَنبٍ، وقَد عفا اللَّهُ عنهُ، فقالَ: إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ، وأمَّا قولُهُ: إنّي تخلَّفتُ يومَ بدرٍ: فإنّي كنتُ أمرّضُ رقيَّةَ بنتَ رسولِ اللَّهِ صلَّى اللَّه عليهِ وعلى آلِهِ وسلَّمَ حين ماتَت، وقد ضربَ لي رسولُ اللَّهِ صلَّى اللَّه عليهِ وعلى آلِهِ وسلَّمَ بسَهْمي، ومَن ضربَ لَهُ رسولُ اللَّهِ صلَّى اللَّه عليهِ وعلى آلِهِ وسلَّمَ بسَهْمِهِ فقد شَهِد، وأمَّا قولُهُ: إنّي لم أترُكْ سنَّةَ عمرَ: فإنّي لا أطيقُها ولا هوَ، فأْتِهِ فحدِّثهُ بذلِكَ[٤٨].

وإنما ضرب نبينا ﷺ سهما لعثمان في بدر، برهان جواز إسهام أهل الأعذار، وحين كان تخلفه أجل تمريض زوجه رقية رضي الله تعالى عنهما، وجبرا لخاطر فؤاده، يوم أن واراها التراب.

إني أخاف قريشا على نفسي

وقد كان عمر شديدا على قريش، وخشي من عدم أداء مهمته على وجهها، فأدلى بذلكم رأيه على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، ومبررا موقفه، وهذا سداد، وبأنه يجوز إبداء نصح القائد، ولعل رأيا يكون صوابا، وهذا ما عهدناه من عمر، وحين قال: يا رسول الله: إني أخاف قريشا على نفسي، وليس بمكة من بني عدي أحد يمنعني، وقد عرفت قريش عداوتي إياها وغلظتي عليها، ولكني أدلك على رجل أعز بها مني عثمان بن عفان[٤٩]. وقد كان.

([٤٨]) الصحيح المسند، الوادعي.
([٤٩])السيرة النبوية، ابن هشام الحميري: ج٣ / ٧٨٠

السلام للفكر والثقافة
www.sadafi.net

إني أخاف قريشا على نفسي، وليس بمكة من بني عدي أحد يمنعني، وقد عرفت قريش عداوتي إياها وغلظتي عليها: هذا قول عمر الفاروق، وهو قول تتقاطر الحنكة من حواليه، وتنساب الحكمة عن يمينه وعن شماله؛ ولأنه يحكي لنا أمرين غاية في فن المعاملة، وسلوك السبيل الاجتماعي، وأثره في حركة الفرد والجماعة، وحين كانت العصبة لها أهميتها في النفوس كشهادة اجتماعية تؤهل صاحبها أن يقول أو لا يقول، وحين كان اعتذاره ممهورا بألا أحد له من بني عدي، وقد يجيره، أو يدفع عنه، أو يسير في ظله، وحين تعترضه قريش، وهذا فن حسن مراعاته، وقد مر بنا وكيف كانت وقفات أبي طالب وعملها مع نبينا صلى الله عليه وسلم بداية دعوته، وكعنوان على صدق قول عمر الفاروق.

وكذا شدة عداوة قريش له، وللحق الذي يحمله، وحين جابههم جميعا بإسلامه ويوم هجرته، وهذه أيضا حيطة واجبة، وحسن إلفها، وسلوك دربها، حال التعرض للدعوة الجديدة، ولأنها تكون ذات صوت لم تعهده البيئة، ولم تتكيف معه بعد، ومنه تفهم أيضا ثبات هذا الجيل على دينه الذي يحمله، وحين أدرك تبعاته، وأن الأمر جد لا هزل فيه.

السلام للفكر والثقافة
www.sadaf.net

مرحلة عثمان بن عفان

وإذ دعا رسول الله ﷺ عثمان بن عفان، وكخامس رسول بينهم، فبعثه إلى أبي سفيان وأشراف قريش، يخبرهم أنه لم يأت لحرب، وإنما جاء زائرا لهذا البيت، ومعظما لحرمته. وهذا الذي نفيد منه طول النفس في المفاوضات، وأن الفرج مع الصبر، وأن محاولة التأثير في الخصم غير مرة أمر محمود؛ اتقاء شرور المواجهة، ومحاولة عدم الانجرار إلى المجابهة، وهكذا يحسب لهذا الدين، وكيف حاول صلى الله عليه وسلم استمالة قريش، وحتى لا يجرح أحد من طرفي النزاع، وخاصة أن بينهم نسبا وصهرا!

ما كنت لأفعل حتى يطوف به رسول الله ﷺ: حين بلغ عثمان أمر نبينا محمد صلى الله عليه وسلم إلى قريش عرضوا عليه إن كان لابد فاعلا فليطف هو بالبيت دون رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال لهم: ما كنت لأفعل حتى يطوف به رسول الله ﷺ[٥٠]. واحتبسته قريش عندها، فبلغ رسول الله ﷺ والمسلمين أن عثمان قد قتل. وهذه أمة الرسل، وحين تبعث سفراء عن أقوامهم، ولا تشترى ذممهم، ولا يأبهون بمثل تيكم عروض، ويكونون من بعدها أسارى فعلهم هذا، فلا هم كسبوا ولاءهم لقائدهم، ولا هم حصلوا ثقة أعدائهم، ولما أصبحوا ينظرون إليهم نظر الريب الذي فيه يعمهون، ولربما أدى بهم فعلهم هذا أن ينتحروا، وهذا أمر مشاهد، وإذ كان عثمان على ولاء ويقين وثقة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم به، وإذ كان في مكانه، ولذلك يجب على السفراء أن يكونوا أمناء، وكما يجب على القادة اختيار سفرائهم بعناية، وكيما يبيضوا وجوههم، وحين لا يشترون في ذممهم، وكما قد عرض على عثمان الطواف وحده فأبى، وهذا برهان سداد نبينا صلى الله عليه وسلم، وحين وقع اختياره على عثمان القوي الأمين!

---

(٥٠)تاريخ الطبري، الطبري: ج ٢ / ٣١٥

السلام للفكر والثقافة
www.sadat.net

أمانة السفير تمنحه ثقة أطراف العلاقة: وكما أن قوة وأمانة السفير فوق أنها تمنحه ثقة أطراف العلاقة، وإنما ينضاف إليها مكاسب أخر، وحين لا يعود صفر اليدين من مهمته، بل وحين كان ثقة، فلرب مكسبا ضافيا آخر، وحين يعود بأنصار أخر جدد، يزيدون من أنصار الدعوة الجديدة، وما فعل مصعب بن عمير ببعيد، ويوم أن كان من فضله تعالى عليه أن كان سببا في تمهيد طيب رشيد، بنجاح أمر الهجرة، وحين كان تمام بيعتي العقبة على يديه رضي الله تعالى عنهم أجمعين.

خاتمة القول في صلح الحديبية

كان يوم الحديبية يوما مجيدا في الإسلام، وذلك أنه كشف لنا عن معادن قوم بايعوا نبيهم على السمع والطاعة منشطهم ومكرههم، وكما أنه يبين عن مدى قيمة فرد واحد في الإسلام، وحين بلغ المسلمين إشاعة مقتل عثمان فقال لهم النبي: لا نبرح حتى نناجز القوم. ودعا المسلمين للبيعة فبايعوا.

وإذ قال الرسول حين بلغه أن عثمان رضي الله عنه قد قتل يوم الحديبية: لا نبرح حتى نناجز القوم. ومنه فإن الاهتمام بالجند موجب نيل ولائهم!

وهذه هبَّة القائد، ولو لأجل فرد واحد من رعيته!

وإذ: خلص عثمان من بيننا إلى البيت فطاف به، فقال الرسول: ما أظنه طاف بالبيت ونحن محصورون! وهذه تربية إيمانية أثمرت ثقة القائد برعيته!

السلام للفكر والثقافة
www.sadafi.net

مسألة التخلف عن الصفوف

كان نبينا محمد صلى الله عليه وسلم يتقدم الصفوف في الجهاد، ولا يمنعه من ذلك إلا ضرورة كمرض.

وهذا الذي حدث يوم خيبر، وإذ أصيب بالشقيقة يومين كاملين، أناب عنه في اليوم الأول أبا بكر، وفي اليوم الثاني عمر، ولكنه تعالى لم يفتح على أي منهما خيبر، وليعطي الراية يومه الثالث عليا، فيفتحها الله تعالى على يديه.

وفيه جواز التخلف عن القتال لمرض المقاتل، كما حدث لنبينا صلى الله عليه وسلم يوم خيبر، أو لمرض من يقوم عليه مسؤوليته، وكما حدث لعثمان يوم بدر ولتطبيبه زوجته رقية.

هذا وقد تناوب الأصحاب على قتل مرحب اليهودي؛ ولشدة بأسه في القتال. حتى أن محمد بن مسلمة هو الذي قتل مرحبا.

سر اختيار أبي عبيدة- أمين هذه الأمةِ- أمير هيئة الإمداد والتموين يوم ذات السُّلَاسِلِ

وبيد أن اللافت أيضًا، هو ذلكم التدين الذي اشتهر به أبو عبيدة بن الجراح، وحين كان رجلًا لينًا سهلًا هينًا عليه أمر الدنيا، وكان رجلًا حسن الخلق لين الشيمة، سعى لأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه وعهده[٥١]. وهذا الذي فعل به فعله، وحين سلم لعمرو بن العاص الولاية، وخاصة أنه كان قد أعلن وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا يختلفا، وهذا وقوف بهم عند النص طاعة وقولا معروفا! ولهذا كتب الله تعالى لهم النصر المؤزر، والفوز المظفر، على عدو الله تعالى وعدوهم، وحتى ساحوا في البلاد، وحين انتشروا في البوادي، فلا تكاد تجد لهم أثرا، أو تسمع

([٥١])تاريخ الإسلام، الذهبي: ج ٢ / ٥١٤

السلام للفكر والثقافة
www.sadafnet

لهم همسا! وحين عسكرت قوات عمرو، وينحرون من إبلهم فيأكلون، وبيد أن ذا هو نصيبهم، وإذ لم يحرزوا عند القوم غنيمتهم، وكما العهد في الحروب!

وإذ كان لافتًا اجتماع الثلاثي الممدوح، ومن ذلكم الرهط الميمون، وحسنٌ قول نبينا محمد صلى الله عليه وسلم: أرأَف أمتي بأمتي أبو بكرٍ، وأشدُّهم في دينِ اللهِ عمرَ، وأصدقُهم حياءً عثمانُ، وأقضاهم عليٌّ، وأفرضُهم زيدُ بنُ ثابتٍ، وأقرؤهم أُبَيٌّ، وأعلمُهم بالحلالِ والحرامِ معاذُ بنُ جبلٍ، ألا وإنَّ لكلِّ أمةٍ أمينًا، وأمينُ هذه الأمةِ أبو عبيدةَ بنُ الجرَّاحِ[٥٢].

إنه لا ينبغي لنبي أن تكون له خائنة الأعين

هذا قول نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، وحين قد أهدر دم عبدالله بن أبي السرح، يوم فتح مكة، الفتح المبين، ولأنه كان قد أسلم، وكان من كتبة الوحي، ثم ارتد، ولذلك أهدر نبينا صلى الله عليه وسلم دمه، هو ونفرا معه، ولو وجد أحدهم متعلقا بأستار الكعبة، وذلك أنه صلى الله عليه وسلم وحين رآه قال: أما كان فيكم رجل رشيد يقوم إلى هذا حين رآني قد صمت فيقتله؟ فقال: وا يا رسول الله هلا أومأت إلينا؟ فقال: إن النبي لا يقتل بالإشارة. وفي رواية إنه لا ينبغي لنبي أن تكون له خائنة الأعين.

وهذا خلق نبينا صلى الله عليه وسلم، وحين كان الإيماء بالإشارة أو خائنة الأعين خلقا تتأباه النفوس العالية، وكان منه ذلك، وهو ما وقع منه صلى الله عليه وسلم. منهجا لنا وسبيلا.

إهدار دم عبد الله بن خطل

وكان من خبر عبد الله بن خطل هذا، وكان اسمه عبد العزى، ولكنه تغير اسمه الى عبدالله بعد أن أسلم، من أولئك الذين أهدر نبينا صلى الله عليه وسلم دم كل منهم، ولو وجد متعلقا بأستار

(٥٢)صحيح الجامع، الألباني: ٨٦٨

الكعبة! وإذ كان مسلما إلا أنه صلى الله عليه وسلم كان قد بعثه في مهمة مع أحد الأنصار، فغضب عليه غضبة ثم قتله، ثم عاد مرتدا، وأمر قينتيه بهجائه صلى الله عليه وسلم، ولذا قتل، وهو متعلق بأستار الكعبة، وكذا وقتلت إحدى قينتيه، واستؤمن للأخرى.

ودلك على صحة مذهبنا هذا ما رواه سعد بن أبي وقاص قال لما كان يوم فتح مكة اختبأ عبدالله بن سعد بن أبي السرح عند عثمان بن عفان فجاء به حتى أوقفه على النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله بايع عبدالله فرفع رأسه فنظر إليه ثلاثا كل ذلك يأبى فبايعه بعد ثلاث ثم أقبل على أصحابه فقال أما كان فيكم رجل رشيد، يقوم إلى هذا حيث رآني كففت يدي عن بيعته فيقتله؟ فقال وا ما ندري يا رسول الله ما في نفسك ألا أومأت إلينا بعينك! قال إنه لا ينبغي لنبي أن تكون له خائنة الأعين[٥٣].

فنحن نقصر ما بقينا بين تسع عشرة فإذا زدنا أتممنا[٥٤].

هذا قول الإمام الحبر الترجمان عبد الله بن عباس رضي الله تعالى عنهما، يوم فتح مكة المكرمة البلد الحرام.

وفيه مشروعية قصر الصلاة للمسافر.

وهذا الذي رواه الإمام البخاري رحمه الله تعالى أيضا من حديث ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال أقام النبي صلى الله عليه وسلم تسعة عشر يقصر، فنحن إذا سافرنا تسعة عشر قصرنا، وإن زدنا أتممنا[٥٥].

([٥٣])صحيح أبي داود، الألباني: ٤٣٥٩
([٥٤])البداية والنهاية، ط احياء التراث، ابن كثير: ٣٦٣/٤
([٥٥])صحيح البخاري: ١٠٨٠

السلام للفكر والثقافة
www.sadat.net

وعن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه، قال خرجنا مع النبي صلى الله عليه وسلم من المدينة إلى مكة فكان يصلي ركعتين ركعتين حتى رجعنا إلى المدينة، قلت أقمتم بمكة شيئا؟ قال أقمنا بها عشرا[٥٦].

وقد وردت روايات أخر عن الأئمة رحمهم الله تعالى، وهي مختلفة العدد، وما بين عشرة الى تسعة عشر يوما، وإذ كان يقصر فيها صلى الله عليه وسلم الصلاة، ركعتين ركعتين.

وهذا بيان أنه لا اختلاف بين الروايات، روحا ومعنى، وإن اختلفت نظما ونصا ومبنى، وإذ حدث كل منهم على ما رأى، وإن تبدى أن الإمام الحبر الترجمان قد قال قوله المعنون به أعلاه، فيبدو أنه مكث التسعة عشر يوما كلها، برهان تحديده المدة، وعلى ما أنف.

ويبدو أنه رضي الله تعالى عنه قد أراد الاتباع، وبقوله هذا، وهذا منهج حسن، يبين أن الناس كم كانوا متبعين، غير مستحسنين ولا مستدركين على نبيهم صلى الله عليه وسلم.

وتلك هي مناقبهم رضي الله تعالى عنهم أجمعين.

وهذا الذي بينه صديق هذه الأمة، ويوم أن استخلفته الأمة، يوم وفاة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، ولما بويع بالخلافة بعد بيعة السقيفة، فتكلم رضي الله تعالى عنه، فحمد الله، وأثنى عليه، ثم قال: "أما بعد أيها الناس فإني قد وليت عليكم ولست بخيركم فإن أحسنت فأعينوني وإن أسأت فقوموني الصدق أمانة والكذب خيانة والضعيف منكم قوي عندي حتى أزيح علته إن شاء الله والقوي فيكم ضعيف حتى آخذ منه الحق إن شاء الله لا يدع قوم الجهاد في سبيل الله إلا

([٥٦])صحيح مسلم: ٦٩٣

السلام للفكر والثقافة
www.sadafnet

ضربهم الله بالذل ولا يشيع قوم قط الفاحشة إلا عمهم الله بالبلاء أطيعوني ما أطعت الله ورسوله فإذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم قوموا إلى صلاتكم يرحمكم الله"[٥٧].

لكن الإمام الحبر الترجمان عبد الله بن عباس رضي الله تعالى عنه قد فاته أنه بانتهاء التسعة عشر يوما، وقد كان قد انتهت مهمة يوم الفتح المبين، فتح مكة المكرمة البلد الأمين، وبالتالي فإنه لقائل أن يقول بعدم حصر مدة القصر تسعة عشر يوما.

وهذا الذي ذهب إليه كثير من أهل العلم رحمهم الله تعالى.

وقد نحا هذا المنحى شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى وإذ لم يجعل لذلك حدا، وقال يجوز قصر الصلاة في كل ما يسمي سفرة سواء قل أو كثر ولا يتقدر عده وهو مذهب الظاهرية ونصره صاحب المغني فيه وسواء كان مباحة أو محرمة، ونصره ابن عقيل: في موضع[٥٨].

فهذا وجه اختياره رحمه الله تعالى، وهو وجه حسن.

قال ابن قدامة رحمه الله تعالى: ولا أرى لما صار إليه الأئمة حجة؛ لأن أقوال الصحابة متعارضة مختلفة، ولا حجة فيها مع الاختلاف، وقد روي عن ابن عباس وابن عمر خلاف ما احتج به أصحابنا، ثم لو لم يوجد ذلك، لم يكن في قولهم حجة مع قول النبي صلى الله عليه وسلم وفعله، وإذا لم تثبت أقوالهم امتنع المصير إلى التقدير الذي ذكروه لوجهين:

أحدهما: أنه مخالف لسنة النبي صلى الله عليه وسلم التي رويناها، ولظاهر القرآن، لأن ظاهره إباحة القصر لمن ضرب في الأرض؛ لقوله (وإذا ضربتم في الأرض فليس عليكم جناح أن تقصروا

([٥٧])البداية والنهاية، ابن كثير: ٢١٨/٥. خلاصة حكم المحدث: إسناده صحيح.
([٥٨])الفتاوي الكبرى، ابن تيمية: ٥/١

السلام للفكر والثقافة
www.sadafi.net

من الصلاة)، وقد سقط شرط الخوف بالخبر المذكور عن يعلى بن أمية، فبقي ظاهر الآية متناولا كل ضرب في الأرض، وقول النبي صلى الله عليه وسلم (يمسح المسافر ثلاثة أيام)، جاء لبيان أكثر مدة المسح، فلا يصح الاحتجاج به هاهنا، وعلى أنه يمكنه قطع المسافة القصيرة في ثلاثة أيام، وقد سماه النبي صلى الله عليه وسلم سفرا، فقال لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر تسافر مسيرة يوم الا مع ذي محرم.

والثاني: أن التقدير بابه التوقيف، فلا يجوز المصير إليه برأي مجرد، سيما وليس له أصل يرد إليه، ولا نظير يقاس عليه، والحجة مع من أباح القصر لكل مسافر، الا أن ينعقد الاجماع على خلافه[٥٩].

و"كان يقصر الرباعية، فيصليها ركعتين من حين يخرج مسافرا إلى أن يرجع إلى المدينة، ولم يثبت عنه أنه أتم الرباعية في سفره البتة، وأما حديث عائشة أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقصر في السفر ويتم، ويفطر ويصوم، فلا يصح. وسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية يقول هو كذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم انتهى، وقد روي كان يقصر وتتم، الأول بالياء آخر الحروف، والثاني بالتاء المثناة من فوق، وكذلك يفطر ويصوم، أي تأخذ هي بالعزيمة في. الموضعين، قال شيخنا ابن تيمية وهذا باطل ما كانت أم المؤمنين لتخالف رسول الله صلى الله عليه وسلم وجميع أصحابه، فتصلي خلاف صلاتهم، كيف والصحيح عنها أنها قال ت إن الله فرض الصلاة ركعتين ركعتين، فلما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة، زيد في صلاة الحضر، وأقرت صلاة السفر فكيف يظن بها مع ذلك أن تصلي بخلاف صلاة النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمين معه.

([٥٩])زاد المعاد، ابن القيم الجوزية: ٤٤٤/١

السلام للفكر والثقافة
www.sadaf.net

قلت وقد أتمت عائشة بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم، قال ابن عباس وغيره إنها تأولت كما تأول عثمان وإن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقصر دائما، فركب بعض الرواة من الحديثين حديثا، وقال فكان رسول صلى الله عليه وسلم يقصر وتتم هي، فغلط بعض الرواة، فقال كان يقصر ويتم، أي هو"[٦٠].

وبيد أنه أيضا أفطر نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، وأفطر معه أصحابه الكرام، في رمضان، وبنفس سبب القصر، وهو السفر يوم الفتح الأعظم، فتح مكة المكرمة، البلد الحرام.

ولأن هذا إعمال لقول الله تعالى﴿ شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدىٰ والفرقانۚ فمن شهد منكم الشهر فليصمهۖ ومن كان مريضا أو علىٰ سفر فعدة من أيام أخرۗ يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ولتكملوا العدة ولتكبروا الله علىٰ ما هداكم ولعلكم تشكرون ﴾ [البقرة١٨٥].

وهكذا رفع الإسلام الحرج عن المسلمين، وحين لم يجمع عليهم مشقتي السفر والاتمام للصلاة.

وحين لم يجمع عليهم مشقتي السفر والصيام في رمضان أيضا.

وصدق الله تعالى ربنا الرحمن الرحيم الحق المبين سبحانه وحين قال ﴿يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر﴾.

وإلا أن المسافر، وحين يكون إماما للمصلين، فإنه يقصر، وإنهم يتمون.

---

(٦٠) المرجع السابق:٤٤٤/١

السلام للفكر والثقافة
www.sadal.net

وهذا لما رواه الإمام أبو داود رحمه الله تعالى عن عمران بن حصين قال غزوت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وشهدت معه الفتح فأقام بمكة ثماني عشرة ليلة لا يصلي إلا ركعتين ويقول يا أهل البلد صلوا أربعا فإنا قوم سفر[٦١].

وعن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه أنه لما صلى بمكة قال يا أهل مكة أتموا صلاتكم فإنا قوم سفر[٦٢].

([٦١]) سنن أبي داود: ١٠١

([٦٢])شعيب الأرناؤوط | المصدر: تخريج سنن أبي داود، شعيب الأرناؤوط: ٤١٩/٢، خلاصة حكم المحدث: صحيح.

السلام للفكر والثقافة
www.sadafu.net

عثمان ومسألة التعري

عن عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما: إياكم والتعري فإن معكم من لا يفارقكم إلا عند الغائط وحين يفضي الرجل إلى أهله فاستحيوهم وأكرموهم[٦٣].

وهذا الذي جاء به حديث آخر عن كنانة العدوي بلفظ: دخل عثمان بن عفان على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله، أخبرني عن العبد كم معه من ملك؟ فقال: ملك على يمينك على حسناتك، وهو آمر على الذي على الشمال، إذا عملت حسنة كتبت عشرا، فإذا عملت سيئة قال الذي على الشمال للذي على اليمين: أكتب؟ قال: لا، لعله يستغفر الله ويتوب. فإذا قال ثلاثا قال نعم: اكتب، أراحنا الله منه، فبئس القرين، ما أقل مراقبته لله وأقل استحياءه منا، يقول الله: ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد، وملكان من بين يديك ومن خلفك، يقول الله: له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله، وملك قابض على ناصيتك، فإذا تواضعت لله رفعك، وإذا تجبرت على الله قصمك، وملكان على شفتيك، ليس يحفظان عليك إلا الصلاة على محمد صلى الله عليه وسلم وملك قائم على فيك لا يدع الحية تدخل في فيك، وملكان على عينيك، فهؤلاء عشرة أملاك على كل آدمي ينزلون ملائكة الليل على ملائكة النهار، لأن ملائكة الليل سوى ملائكة النهار، فهؤلاء عشرون ملكا على كل آدمي، وإبليس بالنهار وولده بالليل[٦٤].

([٦٣])ضعيف الترمذي، الألباني: ٢٨٠٠

([٦٤])تفسير القرآن العظيم، ابن كثير: ٣٦١/٤. خلاصة حكم المحدث: غريب جدا.

السلام للفكر والثقافة
www.sadafu.net

أحداث السنة الرابعة والعشرين

بيعة عثمان

وحين تم ذلك، ومن بعد مرور ثلاثة أيام، ومن موت، ودفن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب.

وحين قد أوصى للأمة أن تبايع أحد الباقين من العشرة، وهم: عثمان بن عفان، وعلي بن أبي طالب، وطلحة بن عبيد الله، والزبير بن العوام، وسعد بن أبي وقاص، وعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنهم، وتحرج أن يجعلها لواحد من هؤلاء على التعيين.

وحين لم يذكر منهم ابن عمه سعيد بن عمرو بن نفيل وخشية أن يكرموه له! وخشية أن يقولوا فيه قولا!

وإلا أنه أيضا لم يعين أحدهم اختيارا، وليبايعوه؛ وخشية أن يتحمل! وحين قال قوله هذا: لا أتحمل أمرهم حيا وميتا، وإن يرد الله بكم خيرا يجمعكم على خير هؤلاء، كما جمعكم على خيركم بعد نبيكم ﷺ[٦٥].

يحضركم عبد الله - يعني: ابنه - وليس إليه من الأمر شيء

هذا قول الفاروق عمر ويوم كان لقاؤه ربه تعالى ويوم أن رشح واحدا يختاره المسلمون خليفة له، ومن بينهم، ودون ابنه؛ ولأنه ليس منهم ابتداء، ولأنه ليس يريده أن يكون وليا، ولربما راحت بهم الظنون حول ذلك!

([٦٥])البداية والنهاية، ابن كثير: ج ٧ / ١٦٣

السلام للفكر والثقافة
www.sadafnet

وما أجمل تصرفا قام به الفاروق هذا، وهدى للناس! وكيما لا يتخذها الناس أساسا لإرث من بيعة، أو ملك عضوض!

ما أظن الناس يعدلون بعثمان وعلي أحدا

وهذا ليس يعد توجيها ولا حواليه أيضا. ولأنه محمول على ما قد علمه الناس، وما قد علمه عمر. وإلا أنه أيضا يصب في خانة ألا عهد لعبد الله بن عمر! وتأكيدا لما أنف ومن قوله ومن قولنا الذي استمددناه ومن بين حروفه.

لستما من هذا في شيء

هذا فقه عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه وحين هم كل من عثمان وعلى رضي الله عنهما أن يصلي على عمر الفاروق صلاة الجنازة، ولأنه كان قد رأى من توكيل صهيب بن سنان الرومي أن يصلي بالناس وحين صلى بهم ثلاثة أيام يوم مرض الفاروق الذي كان قد توفي فيه إنما رأى ذلك بابا فقهيا يكون منه اختيار صهيب للصلاة على الفاروق جنازته أيضا!

وهذه أمة كان ذا شأنها عالمة مستنبطة فقيهة موفقة ومسددة أيضا ومن عون ربها ومن تأييد سمائها!

وإلا أنه جاء بموجبه، وحين أدلى ومن سببه، وحين كان كل من عثمان وعلى من كتبة وحي السماء. وأما وقد استأمنهما النبي صلى الله عليه وسلم على وحي السماء، ولعل هذا يكون آكد ومن استئمان كل منهما على أهل الأرض!

وهذه فراسة عمرية، وهذه عبقرية فاروقية!

السلام للفكر والثقافة
www.sadafnet

إني كنت أظن أن تدافعوها ولم أكن أظن أن تنافسوها

هذا قول أبي طلحة الانصاري وحين رأى القوم قد تعالت أصواتهم يوم بيعة عثمان ومن ببعد وفاة الفاروق!

ولأن الولاية ومن طلبها وكل إليها، وإنما كانت حسرة وندامة أيضا!

ولان هذه الولاية وحين تأتي هي وإنما يعان عليها الوالي يومه هذا وسائر أيامه أيضا!

ونحن نقف عند هذا الخبر ونطلب تحقيق حصوله من أساس ولأن أولاء الباقين من العشرة وإنما يكون من عقدنا ألا حرص لدى أحدهم وعلى هذه الولاية!

حين قد بشروا وإنما عنها قد نفروا وصرفوا.

وإنما يمكن أن يحسب حساب آخر، وحين كانوا أولى ومن بشارة نبيهم صلى الله عليه وسلم لهم، ولأنهم لها أهل.

وعند هذا الحد نقف، وفيما قد تعالت الأصوات، ولعل هذا ومما يقوم بآحادنا، وحين يخطب قوما، وإنما يعلو صوته حينا ويدنو إلى ألا يكاد أن يسمع حينا آخر!

وهذا تصريف جيد، ولما قد تناقله التاريخ، وإن صح!

ونفس ما سلك عمر الفاروق، وحين لم يذكر ولده عبد الله بن عمر، فقد سلكه أيضا، وحين لم يذكر سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل، ورغم أنه من بقية العشرة المبشرين بالجنة، وإلا أنه؛ ولأنه ابن عمه، فقد حاشاه أن يذكره في المرشحين للبيعة!

السلام للفكر والثقافة
www.sadafnet

البيعة الخاصة: وعلى أن الذي حدث شأن واقعة إنابة طلحة لاختيار من الستة، وهذا الذي نعده البيعة الخاصة وإن شئت فقل.

البيعة العامة: ولكن عبد الرحمن بن عوف راح يتلمس آراء الناس وحين وقف على رضائهم عن عثمان!

وهذا الذي يمكن تسميته بالبيعة العامة.

ولا سيما أن عبد الرحمن بن عوف كان قد أرسل ابن أخته المسور بن مخرمة؛ يستدعي كلا من الصاحبين، عثمان وعلي، وعلى ما تيسر له منهما أولا أن يمر عليه أولا!

وحتى كان منه جمع الناس في المسجد لإتمام البيعة العامة، وإن شئت فقل.

وعلى أنه يحسب لهذا عثمان جلسته آخر الجالسين في المسجد! وحين اكتظ بالناس أنصارا ومهاجرين، ولم يكن ليضع نفسه ومن أول الصف، أو أن يتخطى رقابهم؛ حياء وتواضعا، ولطالما كانا خلقين له أيضا.

وهذه سيرة أولاء في قومهم وحين نطقت ببيعتهم ألسنتهم!

وهذا الذي نص عليه حديث المسور بن مخرمة: أن الرهط الذين ولاهم عمر اجتمعوا فتشاوروا، فقال لهم عبد الرحمن: لست بالذي أنافسكم على هذا الأمر، ولكنكم إن شئتم اخترت لكم منكم، فجعلوا ذلك إلى عبد الرحمن، فلما ولوا عبد الرحمن أمرهم، فمال الناس على عبد الرحمن، حتى ما أرى أحدا من الناس يتبع أولئك الرهط ولا يطأ عقبه، ومال الناس على عبد الرحمن يشاورونه تلك الليالي، حتى إذا كانت الليلة التي أصبحنا منها فبايعنا عثمان، قال المسور: طرقني عبد الرحمن بعد هجع من الليل، فضرب الباب حتى استيقظت، فقال: أراك نائما! فوالله

السلام للفكر والثقافة
www.sadaf.net

ما اكتحلت هذه الليلة بكبير نوم، انطلق فادع الزبير وسعدا، فدعوتهما له، فشاورهما، ثم دعاني، فقال: ادع لي عليا، فدعوته، فناجاه حتى ابهار الليل، ثم قام علي من عنده وهو على طمع، وقد كان عبد الرحمن يخشى من علي شيئا، ثم قال: ادع لي عثمان، فدعوته، فناجاه حتى فرق بينهما المؤذن بالصبح، فلما صلى للناس الصبح، واجتمع أولئك الرهط عند المنبر، فأرسل إلى من كان حاضرا من المهاجرين والأنصار، وأرسل إلى أمراء الأجناد، وكانوا وافوا تلك الحجة مع عمر، فلما اجتمعوا تشهد عبد الرحمن، ثم قال: أما بعد، يا علي، إني قد نظرت في أمر الناس، فلم أرهم يعدلون بعثمان، فلا تجعلن على نفسك سبيلا، فقال: أبايعك على سنة الله ورسوله، والخليفتين من بعده، فبايعه عبد الرحمن، وبايعه الناس المهاجرون والأنصار، وأمراء الأجناد والمسلمون[٦٦].

اللهم لا ولكن على جهدي من ذلك وطاقتي

هذا قول أسند إلى الإمام علي بن ابي طالب رضي الله تعالى عنه، ويوم انعقاد مجلس البيعة في المسجد وحن ساءله عبد الرحمن بن عوف وعما إذا كان سيقوم على امري الكتاب والسنة وحين يبايعه المسلمون وكان هذا رده وعلى ما أسند كما قلت.

وبادئ ذي بدء، فإنه ولا شك يمكن تأويله، وإن أمور ملتنا كلها، وعلى هذا الأصل، وهو قدر الوسع، وهو الذي قال عنه ربنا تعالى ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنفِقُوا خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ ۗ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[سورة التغابن: ١٦].

([٦٦])صحيح البخاري: ٧٢٠٧

السلام للفكر والثقافة
www.sadaf.net

وهو الذي قال عنه النبي محمد صلى الله عليه وسلم أيضا: دعوني ما تركتكم، إنما هلك من كان قبلكم بسؤالهم واختلافهم على أنبيائهم، فإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه، وإذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم[٦٧].

ومن ثم وحين وجه السؤال نفسه إلى عثمان وأجاب وأن نعم!

وهذه العزيمة، وحين كان الأصل هو هذا، وأما ما كان خارج الوسع والطاقة، وإنما هو داخل أصالة فيما سقته آنفا، وحين كان رخصة ترخصها علي رضي الله عنه.

خطبة البيعة

وهذا نظام الخلافة، ومما أنف، وحين يخطب الخليفة يوم بيعته خطبته.

ولكن خطبة عثمان يومه هذا، وإنما كانت يسيل منها بيع الدنيا بيعا، وألا يحرص عليها إلا مغبون، وإنما قد باعها من كان وعلى مثل من سبل بئر رومة! أو تجهيز جيش العسرة، ويوم أن زكاه النبي محمد صلى الله عليه وسلم ومن حديث عبدالرحمن بن سمرة هذا: جاء عثمان إلى النبي صلى الله عليه وسلم بألف دينار قال الحسن بن واقع: وفي موضع آخر من كتابي، في كمه حين جهز جيش العسرة فينثرها في حجره. قال عبد الرحمن: فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم يقلبها في حجره ويقول: ما ضر عثمان ما عمل بعد اليوم مرتين[٦٨].

وأسوق خطبته ببيانها ورسمها، فإن من وراء حروفها معان تضاعفت، وإن من بين سطورها حكم قد أبرمت!

([٦٧])صحيح البخاري: ٧٢٨٨
([٦٨])صحيح الترمذي، الألباني: ٣٧٠١

السلام للفكر والثقافة
www.sadafu.net

إنكم في دار قلعة وفي بقية أعمار، فبادروا آجالكم بخير ما تقدرون عليه، فلقد أتيتم صبحتم أو مسيتم، ألا وإن الدنيا طويت على الغرور فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور، واعتبروا بمن مضى ثم جدوا ولا تغفلوا فإنه لا يغفل عنكم.

أين أبناء الدنيا وإخوانها الذين أثاروها وعمروها ومتعوا بها طويلا؟ ألم تلفظهم؟ ارموا بالدنيا حيث رمى الله بها، واطلبوا الآخرة فإن الله قد ضرب لها مثلا، بالذي هو خير، فقال تعالى: { وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيما تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِرا * الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابا وَخَيْرٌ أَمَلا } [الكهف: ٤٥-٤٦][٦٩].

ومن ولي من أمر أمتي شيئا فرفق بهم، فارفق به

هذا سنن النبي محمد صلى الله عليه وسلم وحين انتهجه صحبه الكرام، ويوم أن فرض الفاروق لكل مسلم درهما يفطر عليه في رمضان! ولكلٍّ من أمهات المؤمنين درهمين إكراما لهن!

وهذا الذي زاد عليه عثمان ويوم توليه وحين جعل سماطا في المسجد للمتعبدين، والمعتكفين، وأبناء السبيل، والفقراء، والمساكين رضي الله عنه[٧٠].

وهذا تكافل إسلامي، وهذا إلف اجتماعي.

وهذا الذي كان منه فعل معاوية ومن حديث: أتيت عائشة أسألها عن شيء، فقالت: ممن أنت؟ فقلت: رجل من أهل مصر، فقالت: كيف كان صاحبكم لكم في غزاتكم هذه؟ فقال: ما نقمنا منه شيئا، إن كان ليموت للرجل منا البعير فيعطيه البعير، والعبد فيعطيه العبد، ويحتاج إلى

([٦٩])تاريخ الطبري ، الطبري : ج ٣ / ٣٠٥
([٧٠])البداية والنهاية، ابن كثير: ج ٧ / ١٦٦

السلام للفكر والثقافة
www.sadat.net

النفقة، فيعطيه النفقة، فقالت: أما إنه لا يمنعني الذي فعل في محمد بن أبي بكر أخي، أن أخبرك ما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في بيتي هذا: اللهم من ولي من أمر أمتي شيئا فشق عليهم، فاشقق عليه، ومن ولي من أمر أمتي شيئا فرفق بهم، فارفق به[٧١].

إكرام و اقتداء

وإذ كان من فعل أبي بكر وحين صعد منبر النبي محمد صلى الله عليه وسلم، وإنما نزل درجة! وإكراما وألا يطأ درجة كان عليها!

وحين نزل عمر الفاروق درجة أخرى، وإكراما لمن سبقه أيضا!

وإلا أن عثمان خشي، وإذا فعل ذلك، ومن جاء بعده، فلسوف يشق، وحين يطول عهد الناس!

وحين ذلك وقف على درجة منبر النبي محمد صلى الله عليه وسلم؛ واستنانا وتبركا ولما أنف أيضا.

وهذا من فقهه رضي الله عنه.

حيلة شرعية ماهرة

وحين تقلد عثمان من بيعة وحين آل إليه أمر تنفيذ حدود الله تعالى.

وإنما كانت جملة من القضايا بانتظاره، وحين قتل عبيد الله بن عبد الله بن عمر ابنة أبي لؤلؤة قصاصا لجده!

وحين قتل نصرانيا يقال له: جفينة. ولسنا ندري ما سببه!

([٧١])صحيح مسلم: ١٨٢٨

السلام للفكر والثقافة
www.sadafu.net

ولما قتل الهرمزان وحين قيل إنه الذي مالأ أبا لؤلؤة على قتل جده عمر الفاروق أيضا. وعلى ما حكيناه إبان حديثنا عن هذا في وقته من سيرة الفاروق عمر رضي الله عنه.

وهذا عمل الشورى

وحين وقع الخلاف بين الأصحاب وحدث تبادل للرأي والمشورة أيقتله عثمان؛ ولأنه قد اقتص ممن لم يقع منه قتل؟ وكونه افتأت على الأمير؛ ولأن إقامة الحدود من أمره، ولأنه هو الحارس عليها.

وكان الذي رآه عثمان أن دفع دية كل واحد منهم ومن ماله الخاص! وليس من بيت مال المسلمين! ولوقوع الرأي والمشورة في المسألة، وحين نهض عمرو بن العاص قائلا: يا أمير المؤمنين قد برأك الله من ذلك، قضية لم تكن في أيامك فدعها عنك، فودى عثمان رضي الله عنه أولئك القتلى من ماله، لأن أمرهم إليه، إذ لا وارث لهم إلا بيت المال، والإمام يرى الأصلح في ذلك، وخلى سبيل عبيد الله[٧٢].

اتباع لا ابتداع

هذا الذي سنه الخليفة عثمان ومن أول يوم تقلد فيه مصالح الرعية.

وحين كان من أولاها هو ذلكم تولية أمناء الحرب، وولاة الأقاليم، وأئمة الصلاة، وبيت المال.

ولأنه هذه الوزارات، وإنما هي إمارات سيادية، ومن وجهة العقيدة الإسلامية الصافية.

([٧٢])البداية والنهاية، ابن كثير: ج / ١٦٧

السلام للفكر والثقافة
www.sadafi.net

ولأن الحرب والجهاد ذروة سنام هذا الدين وحين قال هذا النبي محمد صلى الله عليه وسلم: رأس الأمر الإسلام، وعموده الصلاة، وذروة سنامه الجهاد في سبيل الله[٧٣].

تجديد دماء الهرم الإداري

وهذا الذي تبناه ذو النورين الخليفة عثمان، وحين عزل المغيرة بن شعبة عن إمارة الكوفة، وعين سعدا بن أبي وقاص بدلا عنه؛ وتجديدا لحركة العمل الإداري في الأمة؛ وكيما ينشط من جديد، وكيما لا يترهل؛ ومن رتابة!

ولكنه رضي الله عنه كان قد وسم المغيرة وسامه، ومما يعد أفضل شهادة حسن سير وسلوك، ومن حين أنبأ أنه لم يعزل المغيرة لا عن عجز ولا عن خيانة.

وهذا الذي فعله مع سعد بن أبي وقاص نفسه وحين أبدله بالوليد بن عقبة بن أبي معيط أيضا.

عهد جهادي جديد

وهذا الذي سلكه الخليفة الجديد، ولأنه علم كم كان هذا الجهاد ذروة سنام دينه الإسلام الحنيف الخالد.

وحين هب الوليد بن عقبة هبته إلى أذربيجان وأرمينية، وحين نقضا عهدا كان قد واثقا عليه الفاروق عمر!

من مبادئ القانون الدستوري في الإسلام

ولأنه لا تتغير المعاهدات بتغير الحاكم. وهذا عهد دستوري سبق به ديننا، وحين قد أعمله هذا سعد بن أبي وقاص يومه هذا.

---

(٧٣)

السلام للفكر والثقافة
www.sadaf.net

وإلا لختل النظام، ولفشت الفوضى، وإذا كانت المعاهدات الدولية هكذا في مهب الريح، وحين يسمح بتغييرها بتغير الولاة!

وهذا الذي منه كان عمله هذا؛ استتبابا للأمن وإشاعة لاستقرار النظام.

وهذا الذي حدث وحين اضطر أهل أدربيجان وأهل أرمينية، بالوقوف على عهد كان قد سبق، وحين تم صلحهم من جديد مع الوليد بن عقبة بن أبي معيط، وعلى ما كان عليه أمرهم يوم حذيفة بن اليمان، عهد الفاروق عمر رضي الله تعالى عنهم أجمعين.

فابعث رجلا أمينا كريما شجاعا

وهذا سنن ديننا ويكانك تشتم منه يوم وفد نصارى نجران، وحين طلبوا من النبي محمد صلى الله عليه وسلم أن يبعث معهم رجلا أمينا ولا يبعث معهم إلا أمينا! ويوم أجابهم النبي صلى الله عليه وسلم: لأبعثن معكم رجلا أمينا حق أمين!

فعن حذيفة بن اليمان: جاء العاقب والسيد صاحبا نجران إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، يريدان أن يلاعناه، قال: فقال أحدهما لصاحبه: لا تفعل؛ فوالله لئن كان نبيا فلاعنا، لا نفلح نحن ولا عقبنا من بعدنا، قالا: إنا نعطيك ما سألتنا، وابعث معنا رجلا أمينا، ولا تبعث معنا إلا أمينا، فقال: لأبعثن معكم رجلا أمينا حق أمين، فاستشرف له أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: قم يا أبا عبيدة بن الجراح، فلما قام، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: هذا أمين هذه الأمة[٧٤].

([٧٤])صحيح البخاري: ٤٣٨٠

السلام للفكر والثقافة
www.sadafnet

وهذا منه اقتدى القوم يومهم هذا يوم جاشت الروم وخشيها أهل الشام، وحين استمد القائد الوليد بن عقبة، من الخليفة عثمان ذي النورين مدده، وحين قال له صاحب جيش العسرة أيضا قوله هذا: أن إذا جاءك كتابي هذا فابعث رجلا أمينا كريما شجاعا في ثمانية آلاف أو تسعة آلاف أو عشرة آلاف إلى إخوانكم بالشام[٧٥].

وهذا الذي فعله الوليد وحين استنهض جيشا قوامه ثمانية آلاف، ومنه كان نصر الله تعالى لجنده، واغتنامهم، وسبيهم، وفتحهم أيضا.

سنة الرعاف

ولكنه عثمان ذو النورين صاحب بئر رومة، ويوم العسرة، وحين لم يتمكن من الحج عامه هذا؛ ولإصابته برعاف أقعده، وحين أسموا هذا العام عام الرعاف؛ ومن شدته على الأمير يومه هذا!

أحداث السنة الخامسة والعشرين

ومما يستدعي النظر، ويلفت الانتباه، هو ذلكم وجوب السهر، على معاهدات، قد أبرمت، مع المعاهد، وأيا ما كان نوعه!

وذلك لأنه من الممكن أن يتحين فرصته، ليتنصل مما أبرم!

ولأن هذا ديدنهم مع ربهم تعالى، وما بالهم مع غير ربهم تعالى؟!

وحين قد أخبرنا ربنا تعالى عنهم هذا، ومن قوله تعالى ﴿ أَوَكُلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَّبَذَهُ فَرِيقٌ مِّنْهُم ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾[البقرة: ١٠٠].

([٧٥])البداية والنهاية، ابن كثير: ج ٧ / ١٦٨

السلام للفكر والثقافة
www.sadafi.net

وهذا الذي حدث ويوم نقض أهل مصر عهدهم مع عمر بن العاص! وحين استقووا بملك الروم يومهم هذا، ولما قد أرسل إليهم جيشا وعتادا! وظنا منه أنه يمكنه أن يفلت، ومن قبضة عمرو بن العاص، هو ذلكم الساهر، وهو ذلكم الحذر، وهو ذلكم الفطن!

وكان من هذه السنة توجه عمرو بن العاص إلى فتح بلاد المغرب، وحين أوكل المهمة إلى عبد الله بن أبي سرح.

ولما فتح إفريقية - تونس - ومن طريقه، ومن بعد استئذان وإذن أميره عمرو بن العاص، في تسلسل قيادي ماهر؛ تكون منه الغلبة والإلهام والتوفيق والإرشاد.

وحين انقلب الناس على عهدهم، وإلا أن الله تعالى أمكن عمرو بن العاص، ومن دكهم وإثخانهم! ومن ثم أطرهم على العقد أطرا، وحين رجع فريق منهم فصالحهم، ولما أبى آخر ففتحها عليهم عنوة، وليبوء ملك الروم وجيشه بخسارتهم، ولينال أهل مصر الذي كانوا معاهدين ذلتهم، ومن بعد كسر شوكتهم!

أحداث السنة السادسة والعشرين

وحين عزل سعد عن ولايته الكوفة؛ وحين اقترض منه عبدالله بن مسعود مالا، ولما كان قد أعطاه من بيت المال!

وهذا الذي يحكيه التاريخ!

ولسنا بصدد الحكم على هذه المسألة ابتداء؛ ولأنها مسلمة، ولأن بيت المال وإن كان ملكا للأمة، وإذ يمكن أن يقترض منه آحاد الرعية، وبقدر هذا الذي جرى بين الصاحبين سعد وابن مسعود، وحين تقاولا، ومن بعض خصومة؛ كان منها عزل سعد، ولربما وجد فيه الخليفة عثمان شيئا

السلام للفكر والثقافة
www.sadafnet

أهله للعزل، ومن هكذا مشاحنة بين الصاحبين، ولربما كان لها من أثر في إدارة ما ولاه الخليفة شأنه.

وليس على داره باب

هذه حكاية التاريخ عن عقبة بن أبي معيط، وحين كان واليا على الكوفة، محلا محل سعد بن أبي وقاص؛ ومن عزله.

وهذا الذي منه يكون الأمير، ومن مأمن، وحين آمنه ربه، ومن ثم أوكل محبته إلى قلوب رعيته، فأحبته أيضا.

وهذا الذي كان منه أن يحكم الكوفة خمس سنين، وليس على داره باب! وكناية عن عدم وجود ما يقلقه؛ فكان منه هذا!

ولكنه، وعند التأمل، فإن هذا شأن خاص بعقبة! وإلا فإن الولاة حسن لهم أن يتخذوا حراسا!

ولا سيما أن لدينا هديا، في هذا عن هذا النبي محمد صلى الله عليه وسلم، ويوم أرق النبي صلى الله عليه وسلم ذات ليلة، فقال: ليت رجلا صالحا من أصحابي يحرسني الليلة إذ سمعنا صوت السلاح، قال: من هذا؟، قال سعد: يا رسول الله، جئت أحرسك، فنام النبي صلى الله عليه وسلم حتى سمعنا غطيطه، قال أبو عبد الله: وقالت عائشة: قال بلال: ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة... بواد وحولي إذخر وجليل. ، فأخبرت النبي صلى الله عليه وسلم[٧٦].

السنة السادسة والعشرون

ولكن عثمان كان قد عزل عمرو بن العاص عن مصر وولى عبدالله بن أبي سرح عليها.

([٧٦])صحيح البخاري: ٧٢٣١

السلام للفكر والثقافة
www.sadafnet

السنة السابعة والعشرون

فتح إفريقية

ثم كان من ذي النورين أن أمره بفتح إفريقية وله خمس خمس الغنيمة المقدر لبيت المال!

وهذا تصرف إداري جيد.

وفيه شحذ الهمم واستدعاء الطاقات.

فتح الأندلس

ثم كان فتح الأندلس وبناء على قرار ذي النورين؛ ولأنه ومع فتح إفريقية سوف يكون قد تمهد الطريق غلى فتح القسطنطينية!

وهذا تصرف عسكري باهر.

فتح بلاد البربر

وحين اتجهوا جيش المسلمين إلى هنالك، وهم يومئذ عشرون ألفا! وجيش البربر مائة وعشرون ألفا على الأقل ومائتان على الأكثر!

والذي كان منه شدة الموقف!

وإلا أن الله تعالى أسكب الطمأنينة على قلب عبدالله بن الزبير وحين طلب من عبد الله بن أبي سرح أن يجعل وراءه من يحمي ظهره وريثما يقوم بمهمة الأبطال لا بطلا واحدا!

وحين أقدم شاقا الصفوف غلى حيث ملك البربر جرجير، وكان أن أمكنه ربه تعالى منه!

السلام للفكر والثقافة
www.sadafi.net

فأدى ذلك إلى انهيار معنويات جنده، ومنه كان النصر المبين؛ فضلا ونعمة من الله تعالى العزيز الحكيم.

السلام للفكر والثقافة
www.sadafi.net

السنة الثامنة والعشرون

فتح قبرص

علم نبوة ضاف

أنت منهم

هذا علم على نبوة هذا النبي محمد صلى الله عليه وسلم.

ولأنه رأى ومن رؤياه فتح جزيرة قبرص هذه.

ولأنه رأى أن فتحها على يد رجال من أمته.

وليس من وقته او زمانه أو على يديه.

وهذه أم حرام بنت ملحان وحين قص عليها رؤياه هذه، فانتهزها فرصة أن تكون من هكذا الجيش الذي يكون له شرف هذا العمل وكذا زوجها عبادة بن الصامت!

وقد كان ذلك كله وقع!

وهذا كله أيضا نيابة عن فضلها، وعن فضل زوجها، وفضلا على أن يكون كناية عن فضل هذا الرعيل ذي الفضل وحين كان شأنه هذا!

فعن أنس بن مالك: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخل على أم حرام بنت ملحان، وكانت تحت عبادة بن الصامت، فدخل عليها يوما فأطعمته، وجعلت تفلي رأسه، فنام رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم استيقظ وهو يضحك، قالت: فقلت: ما يضحكك يا رسول الله؟ قال: ناس من

السلام للفكر والثقافة
www.sadafi.net

أمتي عرضوا علي غزاة في سبيل الله، يركبون ثبج هذا البحر، ملوكا على الأسرة -أو: مثل الملوك على الأسرة، شك إسحاق- قالت: فقلت: يا رسول الله، ادع الله أن يجعلني منهم، فدعا لها رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم وضع رأسه، ثم استيقظ وهو يضحك، فقلت: ما يضحكك يا رسول الله؟ قال: ناس من أمتي عرضوا علي غزاة في سبيل الله، كما قال في الأولى، قالت: فقلت: يا رسول الله، ادع الله أن يجعلني منهم، قال: أنت من الأولين. فركبت البحر في زمان معاوية بن أبي سفيان، فصرعت عن دابتها حين خرجت من البحر، فهلكت[٧٧].

وهذا الذي كان منه فضل معاوية بن أبي سفيان أيضا؛ ولأنه كان قائد جيش الفتح هذا! عهد عثمان، ذي النورين، صاحب بئر رومة، ومجهز جيش العسرة.

ويذكر التاريخ أن معاوية كان قد أشار على عمر الفاروق أن يفتح قبرص هذه؛ ولعله يريد أن يكون له شرف من فتحها، ولهكذا رؤيا النبي محمد صلى الله عليه وسلم؛ ولأنه هذا رعيل كان إلى الخيرات مسارعا سباقا!

ولكن الفاروق وغنما كان قد رأى أن الوقت ولعله ليس مناسبا لهكذا ركوب البحر وامواجه وهيجانه واضطرابه.

ولتظل الفكرة عالقة ذهن معاوية، وإلى حين جاء ذو النورين، ومنه كانت موافقته.

أتبكي وهذا يوم أعز الله فيه الإسلام؟!

هذا تعجب جبير بن نفيل ومن بكاء أبي الدرداء يوم فتح قبرص هذا!

وحق له أن يتعجب!

([٧٧])صحيح البخاري: ٧٠٠١

السلام للفكر والثقافة
www.sadafnet

وكما قد حق لأبي الدرداء أن يبكي!

ومن هكذا رؤية صادقة وتشخيص كريم للواقع يوم أهل قبرص هذا!

وفي رسالة أخرى سجلها التاريخ ونسجلها له أيضا.

وحين يهلك الله تعالى قوما كانوا ملوكا، وليحول عزهم إلى ذلهم؛ ولأنهم تنكبوا الطريق، وجانبوا السبيل!

ومنه تكون العبرة، ومنه يكون الدرس القرآني، وحين قد سبق، والحديث ولما قد أنف!

قال الله تعالى ﴿ فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ﴾[الأنعام: ٤٤].

ولما جيء بالأسارى جعل أبو الدرداء يبكي، فقال له جبير بن نفير: أتبكي وهذا يوم أعز الله فيه الإسلام وأهله؟ فقال: ويحك، إن هذه كانت أمة قاهرة لهم ملك، فلما ضيعوا أمر الله صيرهم إلى ما ترى، سلط الله عليهم السبي، وإذا سلط على قوم السبي فليس لله فيهم حاجة. وقال: ما أهون العباد على الله تعالى إذا تركوا أمره؟[٧٨]!

ومن ثم كتب الله تعالى لجنده نصرهم على عدو الله تعالى وعدوهم. وحين صالحهم معاوية وعلى دفع الجزية.

([٧٨])البداية والنهاية، ابن كثير: ج ٧ / ١٧٢

السلام للفكر والثقافة
www.sadat.net

موت أم حرام

وكان قدره تعالى موت أم حرام بنت ملحان، زوج عبادة بن الصامت ومن سقوطها من فوق بغلتها.

وإلا أن الذي يوقف عليه ههنا هو ذلكم وجود قبرها في قبرص إلى يوم الناس هذا. والناس يستسقون به هناك!

وهذا الكلام إن صح نقله، وإنما يعتبر بمثابة خروج عن المنهج؛ ولأنه ليس يستسقى بميت!

ولا سيما أن عمر الفاروق كان أحرص على هذه المسائل العقدية، وحين استسقى بعم النبي صلى الله عليه وسلم؛ ولأنه حي فاضل.

ولو كان الاستسقاء بالميت جائزا لكان، أول من قام بفعله هو هذا الفاروق عمر؛ ولا سيما وقت نازلة الجدب!

ولأنه أنس بن مالك هو الذي حدث: أَنَّ عُمَرَ بنَ الخَطَّابِ، كانَ إذَا قَحَطُوا اسْتَسْقَى بالعَبَّاسِ بنِ عبدِ المُطَّلِبِ فَقَالَ: اللَّهُمَّ إنَّا كُنَّا نَتَوَسَّلُ إلَيْكَ بنَبِيِّنَا صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ فَتَسْقِينَا، وإنَّا نَتَوَسَّلُ إلَيْكَ بعَمِّ نَبِيِّنَا فَاسْقِنَا قَالَ: فيُسْقَوْنَ[٧٩].

(٧٩)صحيح البخاري: ٣٧١٠

السلام للفكر والثقافة
www.sadafnet

السنة الثلاثون

مسألتان هامتان:

المسألة الأولى: قصة لا تثبت

وحين ذكر بعض المؤرخين أن سعيد بن العاص، عهد عثمان بن عفان، وحين صالح أهل جرجان، وعلى ألا يقتل منهم رجلا واحدا، وكان قد وافقهم على ذلك، وإلا أنه تحايل وقتلهم جميعا إلا رجلا واحدا!

وإن هذا الذي ذكروه، وإنما نحن ننأى بأصحاب النبي محمد صلى الله عليه وسلم أن يفعلوه؛ ولأنهم أعلم بعقودهم والقيام على شروطهم؛ ولأنهم أعلم بقوله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ ۚ أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنتُمْ حُرُمٌ ۗ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ ﴾ [سورة المائدة: ١].

قالوا "غزا سعيد طَبَرِسْتان، فحاصرهم، فسألوه الأمان، على ألا يقتل منهم رجلًا واحدًا، فقتلهم كلَّهم إلَّا رجلًا واحدا، يُفْتِي نفسه بذلك[٨٠]".

قال الحافظ بن حجر: "علي بن مجاهد بن مسلم القاضي، الكابلي: متروك، وليس في شيوخ أحمد أضعف منه[٨١]".

---

(٨٠)تاريخ الإسلام، الذهبي: ٢ / ١٨٢

(٨١)تقريب التهذيب، ابن حجر: ٤٠٥

السلام للفكر والثقافة
www.sadafi.net

قال الخطيب البغدادي، عن صالح بن محمد قال: سمعت يَحْيَى بْن معين- وسئل عَن علي بْن مجاهد الرازي ويعرف بالكابلي- قَالَ: كان يضع الحديث، وكان صنف كتاب المغازي فكان يضع لكلامه إسنادا[٨٢].

وعلى كل حال فقد ذكر هذه القصة كل من العالمين الجليلين المؤرخين ابن جرير الطبري والحافظ العماد ابن كثير، ولم يجرحا، ولم يعدلا.

وذكرهما هذا من باب التاريخ، وإنما لا معول عليه، وكما قد حكيت آنفا.

المسألة الثانية: مسألة عزل ذي النورين الوليد بن عقبة

نحن بحاجة إلى إعادة رسم خريطة تاريخنا ومن حيث تنقيته ومن كمثل هذا الذي ذكروه ووضعه تحت مظلة الجرح والتعديل وتبيينه للناس، وحتى لا يخاض في الصحابة الأخيار الأبرار هكذا ودونما عمل صالح أو علم متصل!

قال العماد الحافظ: عزل عثمان بن عفان الوليد بن عقبة عن الكوفة، وولى عليها سعيد بن العاص، وكان سبب عزلة أنه صلى بأهل الكوفة الصبح أربعا، ثم التفت فقال: أزيدكم[٨٣]!

إن هذه الرواية وإنما تعد امتدادا لهذا سابقتها، وحين أتى عليها التاريخ إتيانا!

إن كلاما كان قد أثير حول الوليد بن عقبة رضي الله عنه، إبان حياة هذا النبي محمد صلى الله عليه وسلم، وإنما لم يثبته أهل العلم في هذا الشأن.

([٨٢])تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي: ١٢ / ١٠٦

([٨٣])البداية والنهاية، ابن كثير: ج ٧ / ١٧٤

السلام للفكر والثقافة
www.sadal.net

ومنه فإن الناس، ولربما قد نصبوا أعينهم وألسنتهم على الرجل؛ ولهذا التاريخ ألذي لم يثبت. وكان منه هو هذا الذي أنف ذكره، وحين كانت سببا في عزل ذي النورين له!

وعلى أنه وحين ثبتت صحابية أحدهم وإنما تثبت معه عدالته وإنما وما قد ينسب إليه من خطأ وإن ذلك ليس بقادح في عدالته تلك ولا سيما أن أولاء الصحب الأخيار وإنما علمت عنهم توبتهم وكما قد تابت الغامدية وكما قد تاب أبو لبابة يوم بني قريظة وإنما قد تاب كعب بن مالك وحين تخلف وتقبل الله تعالى توبتهم أجمعين.

وليس الوليد بن عقبة استثناء من قبول توبته وعلى فرض وقع الذي أنف ولا سيما أن كثيرا من أهل العلم قد ردوا هذا المقالة.

ولا سيما أنه استعمله عمر بن الخطاب رضي الله عنه على صدقات بن تغلب ، وولاه عثمان بن عفان رضي الله عنه الكوفة[٨٤].

ويتأكد بما ذكرنا أن إطلاق لفظ الفاسق على الوليد شيء بعيد ، لأنه توهم وظن ، فأخطأ ، والمخطئ لا يسمى فاسقًا[٨٥].

وأما ما جاء من قول بعضهم عند تأويل قوله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾[الحجرات: ٦]: وقد تضافرت الروايات عند المفسرين عن أم سلمة وابن عباس والحارث بن ضرارة الخزاعي أن هذه الآية نزلت عن سبب قضية حدثت. ذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم بعث الوليد بن عقبة بن أبي معيط إلى بني المصطلق من خزاعة ليأتي بصدقاتهم فلما بلغهم مجيئه أو لما استبطأوا مجيئه فإنهم

---

(٨٤)البداية والنهاية، ابن كثير: ٦٠٤/١١
(٨٥)التفسير الكبير، الرازي: ٢٧١/١٤

السلام للفكر والثقافة
www.sadaf.net

خرجوا لتلقيه أو خرجوا ليبلغوا صدقاتهم بأنفسهم وعليهم السلاح وأن الوليد بلغه أنهم خرجوا إليه بتلك الحالة وهي حالة غير مألوفة في تلقي المصدقين وحدثته نفسه أنهم يريدون قتله أو لما رآهم مقبلين كذلك " على اختلاف الروايات " خاف أن يكونوا أرادوا قتله إذ كانت بينه وبينهم شحناء من زمن الجاهلية فولى راجعا إلى المدينة[٨٦].

وأقول: إن تضافر بعض الروايات على هذا ليس مبررا لحجيتها، ولأنها دون أسانيد ترقى إلى قبولها. ولا سيما مناقضتها لهذا الأصل الذي أنف وحين يراد أن يحكم على صحابي!

ولا سيما أنه روي كسبب لنزول هذه الآية مناسبتان متغايرتان.

ومنه فليس لدينا ما نستطيع به تغليب وجهة نظر القائلين إن المقصود بها الوليد بن عقبة؛ ولما أنف أيضا.

ولكنه يوقف وعلى أنه وإذ كانت هذه سيرة ذي النورين وأن يعزل ما قد كان هذا شأنه، وإنما هو العدل عنوانا على قوم كان وصفهم ما قاله ربهم عنهم، وإذ كان منهم هو هذا الوليد بن عقبة أيضا، وحين قال الله تعالى ﴿ وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾[التوبة: ١٠٠].

فقدان خاتم النبوة

وعلى انه كان قد سقط خاتم نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ومن يد عثمان في بئر يقال له أريس. ومن بعد ان كان قد تلقاه الخلفاء ومن بعده حتى وصل إليه.

([٨٦])التحرير والتنوير، ابن عاشور: ١ / ٤٠٩٣

السلام للفكر والثقافة
www.sadaf.net

ولكنه ومن بعد بحث واستقصاء ولما لم يجده فقد اتخذ خاتما من فضة.

ويكان الناس كانوا قد اختلفوا حول ماهية هذا الخاتم ومن كونه كان من ذهب او من فضة.

وقد رأينا تناول هذه المسألة على نحونا هذا:

عن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه: ((لما أراد النبي صلى الله عليه وسلم أن يكتب إلى الروم، قيل له: إنهم لا يقرؤون كتابًا إلا أن يكون مختومًا، فاتَّخَذَ خاتمًا من فضة، فكأني أنظر إلى بياضه في يده، ونَقَشَ فيه محمد رسول الله)) [٨٧].

وهذا هو الشأن النبوي، والهَدْيُ المحمدي الكريم في اتِّخاذ سنَنِ مَن هم على غير ملتنا، وليسوا من هَدْينا، أن يتخذ سننهم لنا سننًا، وهديًا حسنًا، ومن حيث كان متعلقًا لا من باب تحريم الحلال، ولا من باب تحليل الحرام في شيء، ولما كان متعلقًا، ومن باب سياسة الدنيا، وإعمار البسيطة، على وجه إداري، أو آخر إعماري، أو ما شابههما، ولما كان هكذا ليس لصيقَ الصلة بأمور العبادات، التي هي توقيفية أبدًا.

بيد أن هذا الخاتم، وإنما كان من فضة، وليس من ذهب، ومن نص الحديث النبوي الكريم، وجمعًا بينه وبين حديث تحريم الذهب على رجال هذه الأمة الحنيفية المحمدية، دون نسائها.

فعن عبدالله بن عمرو: ((خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي إحدى يديه ثوب من حرير، وفي الأخرى ذهب، فقال: إن هذين محرَّمٌ على ذكور أمتي، حِلٌّ لإناثهم)) [٨٨].

([٨٧])صحيح البخاري: ٢٩٣٨
([٨٨])صحيح ابن ماجه، الألباني: ٢٩١٤

السلام للفكر والثقافة
www.sadal.net

وانظر كيف كان حبُّهم لنبيِّهم محمد صلى الله عليه وسلم، وحتى اتخذوا خاتمه لهم تاريخًا، شاهدًا على هكذا محبة، وعلى هكذا اتباع، ممهورين بهكذا إخلاص لهذا الرب العظيم، الذي أرسل هذا النبي محمدًا صلى الله عليه وسلم، هاديًا، ومبشرًا، ونذيرًا، ﴿وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا﴾ [الأحزاب: ٤٦].

وحتى أودع قلوبَهم حبَّه، ويكأنه تعالى ومِن رضاه عن نبيه صلى الله عليه وسلم، ومن محبته لأتباعه، كان قد أودع قلوبهم هذا الصنيع الإلهيَّ الكريم أيضًا، وبه استحقوا وسامًا ومن موجبه تنزَّل فيهم قرآن حكيم؛ قال فيه ربه ومنزله سبحانه: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٠].

وعلى أنه يمكن اعتبار هذا سننًا، وهديًا حسنًا أيضًا، وقاعدة من قواعد ديننا، وأصلًا من أصول قواعدنا، وللبقية الكاثرة من أتباع هذا النبي محمد صلى الله عليه وسلم، ومن حيث أنِف، ومن شرط عدم تعلُّق ذلكم أمر بمسألتي التحليل والتحريم، ومن شيء، قريبًا منه كان، أو بعيدًا عنه.

ويكأنه كان علامةً فارقة أيضًا، ومن حسن إخوة العشيرة، لدى هذا النبي محمد صلى الله عليه وسلم، وهو ما كان منه هذا التَّتبُّع، وهو ما أثمر منه هذا الهَدْي الحسن الكريم، والاقتداء العظيم أيضًا، وحين تسابق القوم على اتباعه، ولما تنافسوا على اقتفاء آثاره، وتسارعوا إلى مائدة هُداه، وسَناه، ورشده، وتقواه، وهداه.

وعلى أنه صلى الله عليه وسلم كان قد نقش فيه - أي الخاتم - اسمه الكريم، ولعله - ومن باب أيضًا - عملُ مَن قبلنا، وما ليس فيه مخالفة لشرعنا، ومنه فقد كان عهدًا لهذا النبي محمد صلى الله عليه وسلم أن يأخذ ومن كل فن جاء، وعن هذا الفريق، أو ذاك، ما أمكنه ذلك سننًا، وهديًا

حسنًا، ومن باب أنه ليس يدخل في باب التحريم لما قد أحل ربنا الرحمن، أو التحليل لما حرم ربنا الرحمن من شيء، ومما أنِف ذكره أيضًا.

ولعله أيضًا، ومما يمكن اشتقاقه منه، وهو تلكم الهيبة، وحين يُذكَر هكذا اسم هذا النبي محمد صلى الله عليه وسلم، وعلى خاتمه الكريم أيضًا.

ويكأنه صلى الله عليه وسلم ولما كان قد نقش اسمه الكريم، ورسم نعته العظيم على خاتمه، ومن ثلاثة أسطر: (محمد) على سطر، و(رسول) على سطر، و(الله) على سطر، وكل ذلكم رُسِمَ مقلوبًا، وكيما يكونَ سويًّا، وعند ختمه، ومما جرت العادة في هذا الشأن أيضًا، ويعرفه ذوو فنِّ الخط ابتداء.

فعن أنس بن مالك، قال: ((أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يكتب إلى بعض الأعاجم، فقيل له: إنهم لا يقرؤون كتابًا إلا بخاتم، فاتخذ خاتمًا من فضة، ونقش فيه: محمد رسول الله))[٨٩].

وعن أنس، بمعنى حديث عيسى بن يونس، زاد: ((فكان في يده حتى قُبِضَ، وفي يد أبي بكر حتى قُبِضَ، وفي يد عمر حتى قُبِضَ، وفي يد عثمان، فبينما هو عند بئر إذ سقط في البئر، فأمر بها فنُزحت فلم يقدر عليه))[٩٠].

بيد أنه وحين قد ورد من حديث ابن عمر أنه صلى الله عليه وسلم كان قد اتخذ خاتمًا من فضة أو من ذهب؛ دلالة جوازه، ولعله كان خاصًّا بهذا النبي محمد صلى الله عليه وسلم، ومن ثَمَّ، ولما عمَّت به البلوى، وراح الناس يتخذون ومن مثل نبيهم صلى الله عليه وسلم، وإلا أنه قد نُسخ، ومن

([٨٩])سنن أبي داود: ٤٢١٤

([٩٠])سنن أبي داود: ٤٢١٥.

السلام للفكر والثقافة
www.sadal.net

فعله صلى الله عليه وسلم، ومن قوله أيضًا: ((إن هذين - أي الحرير والذهب - محرَّم على ذكور أمتي، حِلٌّ لإناثهم)).

فعن عبدالله بن عمر ((أن رسول الله صلى الله عليه وسلم اتخذ خاتمًا من ذهب أو فضة، وجعل فصه مما يلي كفَّه، ونقش فيه: محمد رسول الله، فاتخذ الناس مثله، فلما رآهم قد اتخذوها رمى به وقال: لا ألبسه أبدًا، ثم اتخذ خاتمًا من فضة، فاتخذ الناس خواتيم الفضة، قال ابن عمر: فلبِس الخاتم بعد النبي صلى الله عليه وسلم أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان، حتى وقع من عثمان في بئر أريس))[٩١].

وهذا فقه مستقر، وهذا عمل مستمر.

وليس يُشكِل من شيء مجيءُ قولٍ عن فرد أو أفراد، ليس ينهض مواجهة الحديث الصحيح، والاستدلال الصريح، ومما نُقِل عن بعضهم جواز التَّخَتُّم بالذهب.

قال ابن دقيق العيد: "ظاهر النهي التحريم، وهو قول الأئمة، واستقر الأمر عليه، وما نُقِل عن أبي بكر بن محمد بن حزم من تختمه بالذهب فشذوذ، والأشبه أنه لم تبلغه السُّنَّة فيه، فالناس بعده مجمعون على خلافه، وكذا ما رُوِيَ فيه عن خباب، وقد قال له ابن مسعود: أمَا آنَ لهذا الخاتم أن يُلقَى؟ فقال: إنك لن تراه عليَّ بعد اليوم، فكأنه ما كان بلغه النهي، فلما بلغه رجع"[٩٢].

وعلى أن النهي ثابت في عدم جواز النقش على خاتم هذا النبي محمد صلى الله عليه وسلم، وغير ما نقشه هو صلى الله عليه وسلم.

([٩١])صحيح البخاري: ٥٨٦٦

([٩٢])فتح الباري شرح صحيح البخاري: ج١٣/ ٣٨٧

السلام للفكر والثقافة
www.sadafu.net

ولعل هذا، ومن موجب مقام الرسالة، ومن سبب هيبة النبوة، ومن قيمة هكذا القائد، وكيما تظل مهابته، وتستقر في النفوس والجوارح سُلطته، وتعمل في النفوس عملها أيضًا.

وهذه قيمة منضافة إلى رصيد هذه الأمة، في اتباع هَدْيِ نبيها محمد صلى الله عليه وسلم، وحين قد عملت، ولأن لها فيه الأسوة الحسنة، والقدوة، والتأسي، والترسم أيضًا.

وإلا أنه أيضًا، ومن موجب هذا الحديث الصحيح الذي بين أيدينا، وإنما تتخذ صفة الهيبة، والاستمرار، والاستقرار، وعدم التعديل على هكذا خاتم النبوة.

وهذا عمل إداري مجيد، وكيما تتضمن هكذا الأعمال الإدارية صفة ثباتها، ومن جانب، ورصيد هيبتها، ومن جانب ثانٍ، وصفة استمرارها واستقرارها، ومن جانب ثالث؛ ولأن هذا الاستمرار هو الذي يضمن لها عاملي الإذعان القلبي، والعمل الظاهري أيضًا، فتنال ثقة الجماهير، ومن حيث قد ضمن لها ثباتها، واستقرارها في النفوس، فلا تتعداها؛ ومن موجب هذين الشأنين معًا.

وهذا الذي جرى عليه عملُ الناس، ومن خلودهم إلى هكذا مبدأ إداري، سبق إليه هذا الدين الإسلام الحنيف الخالد، ولما كان من مقتضاه، هي هكذا عقيدة استمرار المبدأ الإداري؛ كيما يعمل في النفوس عمله.

وأما هذا الذي يتعدل كل حين، وأما هذا الذي يتبدل كل وقت، وأما هذا الذي يتغير ومن فينة قصيرة إلى أخرى كمثلها قصيرة أيضًا، وإنما يناله هذا دولاب العمل الإداري، ومن موجبه عَوَاره، وإنما يعود عليه وباله، ومن هكذا طعن وخلل في دوامه واستقراره، فلا تراه قد أعمل في النفوس عمله، بل تسربًا تَلْفَاه، وبل تهربًا تراه، ومما يعُجُّ به العمل الإداري، ومما هو ملاحَظ ومشاهَد أبدًا.

السلام للفكر والثقافة
www.sadaf.net

وهذا الذي يوجب التفلُّت، وهذا الذي تتبدى سوأة عدم الانصياع، والتهرب من الطاعة، وداعية الالتزام الطوعي المجتمعي، التي هي من أخص خصائص القواعد الإدارية المنظمة لهذا الشأن، أو أي شأن آخر سواه.

وهذا المبدأ الإداري الذي نترسمه من ها هنا، وهو الذي يعد عدم المساس بخاتم النبوة، وألَّا يُنقَشَ عليه تغييرًا، أو تعديلًا، أو تبديلًا.

وإنما كان منه ومما أنِف ضمان سير العمل الإداري رقراقًا منسابًا، قد عمِل في النفوس عمله، وحين كان من الشهرة والعموم، قد أخذ - ومن هكذا استمرار - قاعدة الإلزام الإداري، الذي قد تنشأت عنه قاعدة الالتزام الطوعي، التي هي من أخص خصائصه، والتي تلعب دورها في الضمير الاجتماعي العام، وما يثمره ذلكم من شيوعه، الذي ينتج عنه طبيعة وحالًا هكذا انقياد المستقبِل والفئات المستهدفة، من هكذا مبدأ إداري قد استقر في النفوس، حتى أتى أُكُلَه، وحين عاد على الجهة الإدارية إيجابه، وإيجابيته أيضًا.

فعن عبدالله بن عمر: ((اتخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم خاتمًا من وَرِقٍ، ثم نقش فيه: محمد رسول الله، فقال: لا ينقش أحد على نقش خاتمي هذا))[٩٣].

وعلى أن هذا الخاتم؛ ولأنه بمثابة شعار الدولة الإسلامية، وإذ يعد لها رمزًا أيضًا، وباسم هذا النبي محمد صلى الله عليه وسلم، ولما كان هو مؤسسها الأول، وإليه - ومن بعد ربنا الرحمن سبحانه - يعود الفضل في إرساء معالمها، وتوطيد أسسها، وتحديد أركانها، وتفريد قواعدها.

([٩٣])صحيح ابن ماجه، الألباني: ٢٩٥٠

السلام للفكر والثقافة
www.sadafu.net

وعليه فقد دأب الناس، ولطالما كانوا حديثي عهدٍ بهذا النبي محمد صلى الله عليه وسلم، وأن يمسكوا بزمام خَتْمِه، وألَّا يرضوا بغيره عنه بدلًا.

وهذا هو عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه، ذو النورين، ولما كانوا قد التمسوا خاتم النبوة في عهده، ولما لم يجدوه، وإلا أن هذا الخليفة الذي ما ضره ما فعل، ومن بعد يوم تبوك، تاريخًا مجيدًا، وذكرًا حسنًا فريدًا، وحين لم يرضَ عن هذا الخاتم النبوي بديلًا، وحين اتخذ خاتمًا آخر، وعلى نسق، ورسم، ووصف، ووسم خاتم النبي محمد صلى الله عليه وسلم وإذ كان به يختم، ولما كان به يتختم أيضًا.

فعن ابن عمر بهذا الخبر، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((فالتمسوه فلم يجدوه، فاتخذ عثمان خاتمًا ونقش فيه: محمد رسول الله، قال: فكان يختم به، أو يتختم به))[٩٤].

وذهاب فريق أنه صلى الله عليه وسلم كان قد طرح خاتمه وتركه، ليس إلا من باب هذه الدعوى، وتلك التي يعوزها دليل، وإنما قد افتقرت إلى دليل من بابها أيضًا.

ولأنه صلى الله عليه وسلم، وحين ترك، وإنما ترك خاتم الذهب، ولما قد رأى الناس فيه اتبعوه يومًا واحدًا، ومما أنف بيانه سلفًا.

وإنما كان خاتمه صلى الله عليه وسلم من وَرِقٍ؛ أي من الفضة، ولما ثبت آنفًا.

وعليه فيُرَدُّ قول من قال: إنه - أي الخاتم - كان من حديد؛ ولصحة رواية الورق، ولضعف رواية الحديد، ومنضافًا إلى ذلك - والله تعالى أعلم - أن الخاتم، ولربما كان من فضة أدعى، ومن حيث قلنا: إنه صلى الله عليه وسلم كان يلبَسه، وإنما قد أُبيحت الفضة في شريعتنا، ويكأنه أيضًا،

([٩٤])سنن أبي داود: ٤٢٢٠

السلام للفكر والثقافة
www.sadafi.net

وينضاف إلى ذلكم ما من شأنه الزينة، وإضفاء مسحة جمال على الخاتم، ويد المتختم به أيضًا، وهذا الذي يفتقره الحديد ها هنا.

وثمة ما يَشِي بأن الفضة ولربما كانت أسلم وأدعى، ومن جانب صحيٍّ ذكروه، ومن حوله ألفيتهم قد شرحوه وبيَّنوه.

وأما قوله صلى الله عليه وسلم: ((التمس ولو خاتمًا من حديد))، وإنما ذلك، ومن وجه المهور، كسنن، وهديٍ حسن، وشرط أن يتقوَّم المهر به بمال، ومن باب التيسير على العباد، ولو لم يجدوا سوى الحديد مهرًا؛ إعلاء من شأن المرأة، وتقديرًا، ورفعة، وسموًّا، وهديًا، وسننًا حسنًا أيضًا.

على أنه صلى الله عليه وسلم كان يلبس خاتمًا مُتَيَمِّنًا به، ومن باب هديه المستقر في هذا الشأن، وأنه كان يحب التيمن في أمره كله، وليس يخرج الخاتم عن ذلكم من شيء؛ ولأنه من جملة الأمور، ولا سيما أمور هذا النبي محمد صلى الله عليه وسلم، ثم لورود ما دل على هذا الشأن ابتداء أيضًا، فزاد اليقين يقينًا مثله أيضًا.

فعن علي بن أبي طالب: ((أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يتختم في يمينه))[٩٥].

وإلا أنه قد ثبت أنه صلى الله عليه وسلم كان يلبس خاتمه في يده اليسرى، ولعل هذا ومن باب الجواز، وإلا فقد كان هديه صلى الله عليه وسلم هو التيامن في الأمور كلها، وما أنف ذكرًا.

فعن عائشة أم المؤمنين: ((كان النبي صلى الله عليه وسلم يُعْجِبه التيمُّن، في تنعُّلِه، وترجُّله، وطهوره، وفي شأنه كله))[٩٦].

([٩٥])صحيح أبي داود، الألباني: ٤٢٢٦
([٩٦])صحيح البخاري: ١٦٨

السلاة للفكر والثقافة
www.sadat.net

وعن عبدالله بن عمر وأنس بن مالك ((أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يتختَّم في يساره))[٩٧].

ويُشار إلى ضعف حديث رُوِيَ عن أنس بن مالك: ((كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا دخل الخلاء نزع خاتمه))[٩٨].

وقد ورد أنه صلى الله عليه وسلم كان يلبس خاتمه في خنصر اليد.

والذي كان منه وحيه، وهداه، وسننه.

ولما كانوا قد اكتشفوا، ومن بعد عهد النبوة بقرون عديدة، أن لهذا أثرًا حسنًا، ومن الناحية العلمية، في الوضع الصحي العام للابسه.

ووفقًا لما قال الخبراء: إن الخواتم الأخرى التي نلبسها على الأصابع تؤثر بشكل ملحوظ في الصحة؛ فمثلًا وجود خاتم في الإصبع الوسطى يؤثر في النقاط النشطة المرتبطة بالقلب والأوعية الدموية والغدد الصماء، أما الخاتم في الخنصر، فإنه يؤثر في النقاط النشطة المسؤولة عن عمل المعدة والأمعاء[٩٩].

وهذه، وإن ثبتت، وإنما كانت عاملَ استئناس وحسب، وليست تُقدِّم من كثير أو من قليل، في مدى عقدنا في نبينا، ويقيننا في رسولنا؛ ولأنه ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾ [النجم: ٣، ٤].

([٩٧])صحيح الجامع، الألباني: ٤٨٩٩
([٩٨])ضعيف الترمذي، الألباني: ١٧٤٦
([٩٩])جريدة أخبار الآن، عدد: ٢٠/ ١٢/ ٢٠١٨

السلام للفكر والثقافة
www.sadafnet

بين معاوية و أبي ذر

ويكأن أبا ذر كان متأولا لبعض من آي قرآن ربنا تعالى!

وحين رأى معاوية ألا يدخر شيئا ومن يعد حاجته خشية وقوعه تحت مظلة قوله تعالى ﴿ ۞ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ۗ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾[التوبة: ٣٤].

ولكن معاوية أخذ عليه تأويله هذا، ولما لم يطعه ومن فقد وقع بينهما نوع مجادلة ويكأنه معاوية قد شكاه إلى الخليفة عثمان بالمدينة.

وحين استدعاه ذو النورين وراجعه ولما لم يقنع!

فأراده عثمان أن يلحق بالربذة، أو أنه أبو ذر هو الذي طلب ذلك.

فعن زيد بن وهب، قال: مررت بالربذة فإذا أنا بأبي ذر رضي الله عنه، فقلت له: ما أنزلك منزلك هذا؟ قال: كنت بالشأم، فاختلفت أنا ومعاوية في: { الذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله } قال معاوية: نزلت في أهل الكتاب، فقلت: نزلت فينا وفيهم، فكان بيني وبينه في ذاك، وكتب إلى عثمان رضي الله عنه يشكوني، فكتب إلي عثمان: أن اقدم المدينة فقدمتها، فكثر علي الناس حتى كأنهم لم يروني قبل ذلك، فذكرت ذاك لعثمان فقال لي: إن شئت تنحيت، فكنت قريبا، فذاك الذي أنزلني هذا المنزل، ولو أمروا علي حبشيا لسمعت وأطعت[١٠٠].

(١٠٠)صحيح البخاري: ١٣٥٢

السلام للفكر والثقافة
www.sadaf.net

علم نبوة ضاف

ولكن هذا دعاء أبي ذر ذا النورين، وحين أخبره نبأ هذا النبي محمد صلى الله عليه وسلم ومن قوله: إن رسول الله ﷺ قال لي: « إذا بلغ البناء سلعا فاخرج منها ».

وهذا علم نبوة ضاف؛ ولأنه قد بلغ، ولأنه كان منه طلب أبي ذر من ذي النورين، أن يلحق بالربذة!

ولكن الإمام ذا النورين كان أرعى لرعيته ولو كان منها ما كان!

وحين سمح لأبي ذر أن يقيم بالربذة، وأن نعم، وإلا أنه أمره أن يتعاهد المدينة حينا، ومن بعد حين آخر! وحتى لا يرجع القهقري إلى أخلاق أهل البادية من الأعراب ومن بعد أن تسنح بسنحة الإسلام والهدى والنور!

وفيه: جواز الأخذ للإنسان بالشدة في الأمر بالمعروف وإن أدى ذلك إلى فراق وطنه.

وفيه: أنه يجوز للإمام أن يخرج من يتوقع ببقائه فتنة بين الناس.

وفيه: ترك الخروج على الأئمة والانقياد لهم، وإن كان الصواب في خلافهم.

وفيه: جواز الاختلاف والاجتهاد في الآراء، ألا ترى أن عثمان ومن كان بحضرته من الصحابة لم يردوا أبا ذر عن مذهبه، ولا قالوا: إنه لا يجوز لك اعتقاد قولك، لأن أبا ذر نزع بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم واستشهد به[١٠١].

وهذا حجة في أن الاختلاف في العلم باق إلى يوم القيامة لا يرتفع إلا بالإجماع، وفيه ملاطفة الأئمة العلماء فإن معاوية لم يجسر على الإنكار على أبي ذر حتى كاتب من هو أعلى منه في أمر دينه[١٠٢].

([١٠١])عمدة القاري، العيني: ج ٨ / ٢٦٣

السلاة للفكر والثقافة
www.sadat.net

وفيه: أن عثمان لم يخف على أبي ذر مع كونه مخالفا له في تأويله[١٠٣].

وقال ابن بطال: ولما قدم أبو ذر المدينة اجتمع عليه الناس يسألونه عن القصة، وما جرى بينه وبين معاوية، فلما رأى أبو ذر ذلك خاف أن يعاتبه عثمان في ذلك، فذكر له كثرة الناس وتعجبهم من حاله كأنهم لم يروه قط، فقال له عثمان: إن كنت تخشى وقوع فتنة فاسكن مكانا قريبا من المدينة، فنزل الربذة، وهو معنى[١٠٤].

وهذا حرص الراعي، وهذه منقبته، وهذه مسؤوليته أيضا، ومن خوفه على سلوكيات رعيته؛ ولأنه عنهم لمسؤول؛ ومن حديث عبدالله بن عمر: أَنَّهُ سَمِعَ رَسولَ اللَّهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ يقولُ: كُلُّكُمْ رَاعٍ ومَسْؤُولٌ عن رَعِيَّتِهِ؛ فَالإِمَامُ رَاعٍ وهو مَسْؤُولٌ عن رَعِيَّتِهِ، والرَّجُلُ في أهْلِهِ رَاعٍ وهو مَسْؤُولٌ عن رَعِيَّتِهِ، والمَرْأَةُ في بَيْتِ زَوْجِهَا رَاعِيَةٌ وهي مَسْؤُولَةٌ عن رَعِيَّتِهَا، والخَادِمُ في مَالِ سَيِّدِهِ رَاعٍ وهو مَسْؤُولٌ عن رَعِيَّتِهِ. قالَ: فَسَمِعْتُ هَؤُلَاءِ مِن رَسولِ اللَّهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، وأَحْسِبُ النَّبِيَّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ قالَ: والرَّجُلُ في مَالِ أبِيهِ رَاعٍ وهو مَسْؤُولٌ عن رَعِيَّتِهِ، فَكُلُّكُمْ رَاعٍ وكُلُّكُمْ مَسْؤُولٌ عن رَعِيَّتِهِ[١٠٥].

ولكن هذا حديث أنبأناه أبو ذر وفيه إلف درر وعظيم ذخر!

ويكأن تاريخ الرجل ومن بدئه كان رقراقا، وإلا أنه ومن يومه، كان للحق تابعا مصداقا!

---

(١٠٢) المرجع السابق: ج ٨ / ٢٦٣
(١٠٣) المرجع السابق: ج ٨ / ٢٦٣
(١٠٤)عمدة القاري، العيني: ج ٨ / ٢٦٢
(١٠٥)صحيح البخاري: ٢٤٠٩

السلام للفكر والثقافة
www.sadat.net

غزوة ذات الصواري

هكذا ذكرها التاريخ!

ونسبة الغزوة لأن نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم كان يقودها!

وأما ذات الصواري فهكذا قد سجلها التاريخ!

وحين كان الأمر شديدا؛ ولاجتماع الروم على المسلمين، ومن كل ما أوتوه من قوة، وزحفا إلى بلاد المغرب، عند عبدالله بن سعد بن أبي سرح!

ولما لم يستطيعوا مواجهة مع معاوية، وإذ كان لهم أقرب!

وإلا أنه كان يؤدبهم، وكلما أطلوا برؤوسهم طلة!

ولذا انحاشوا عنه، وإلى تجربة غيره!

ولكن غيه كان هو!

وإنما يُنصَرُ المسلمون بمعصية عدوهم لله[١٠٦].

ولكن القوم؛ ولأنهم جاهلون، وإذ كانوا يخرجون بقيانهم وغنائهم وخبالهم!

ولكن عبدالله سعد بن أبي السرح كان يواجه خبالهم هذا بالذكر وقراءة القرآن!

وهنا سر الغلبة، وهنا مكمن النصر، وسببه، وموجبه!

ولكنه عند قوم كان هذا علمهم عن ربهم الحق المبين!

([١٠٦])العقد الفريد، ابن عبد ربه: ١١٩/١، من خطبة للفاروق عمر يوصي فيها سعد بن أبي وقاص.

السلام للفكر والثقافة
www.sadafnet

ومن ذكر التاريخ، أن الرياح كانت قد هبت هبتها، وعلى المسلمين كانت هائجة، ولدى الروم كانت هادئة ساكنة!

وهذا من الابتلاء، الذي واجهه المسلمون؛ ومن صبرهم، ومن احتسابهم، ومن حسن يقينهم بربهم!

وهو الذي كان منه هدوؤها، وسكونها مرة أخرى!

وليبعث الله تعالى السكينة في قلوب المؤمنين! ومن ثم وأثابهم فتحا قريبا أيضا.

وحين زمجر الروم؛ معتمدين على قوتهم، ولما ارتكن المسلمون إلى ركنهم الركين، وهو هذا الرب العزيز الحق المبين!

وفارق بين قوم كان هذا بربهم ظنهم، ولما كان منه نصرهم!

ولماذا الصوائف؟

وإنما سميت بالصوائف أيضا، ولأن معاوية هذا الشملول، وإنما كان يغزو كل صيف غزوة، وحين كانت له مع ربه تعالى، ومن كمثل هكذا غدوة أو روحة في سبيله تعالى؛ ولأنه كان يعلم ويكأني به حديث سهل بن سعد الساعدي : أنَّ رَسولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ قالَ: رِبَاطُ يَومٍ في سَبيلِ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وما عَلَيْهَا، ومَوْضِعُ سَوْطِ أَحَدِكُمْ مِنَ الجَنَّةِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وما عَلَيْهَا، والرَّوْحَةُ يَرُوحُهَا العَبْدُ في سَبيلِ اللَّهِ، أَوِ الغَدْوَةُ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وما عَلَيْهَا[١٠٧].

وبين قوم آخرين كان الخبال عنوانهم، والسقسقة وبالهم، وحين كان ومن كفرهم ذلهم وانكسارهم!

([١٠٧])صحيح البخاري: ٢٨٩٢

السلام للفكر والثقافة
www.sadafnet

عسكرة القائد أياما

وهذا فن عسكري ماهر، وحين عسكر عبد الله بن سعد بن أبي السرح أياما في ذات الصواري؛ تطهيرا لآثار المعركة، التي لم ير مثلها يومان ومن يوم البعثة إلى يوم وقعة الصواري هذه.

ويكأنها ماثلة للعيان، ومن امتزاج ماء البحر بدماء الطرفين، ويكأنها كانت أثخن في جيوش الروم، وكيف لا وإذ ها هم كانوا يغنون ويخطلون ويخلطون، ومن مواجهة قوم آخرين، هم المسلمون، أقدروا ربهم تعالى، ومن ذكره، ومن تلاوة قرآنه.

ويكأن قوما كان ذا وصفهم، وإلا أن ربهم تعالى ناصرهم ومعينهم ومظفرهم على عدو الله تعالى وعدوهم!

ولكن الناس كانوا على وقوف على سيرة نبيهم محمد صلى الله عليه وسلم؛ وحين كان من عمله هذا!

ويوم وقعة دومة الجندل، وسواها، وحين عسكر أياما أيضا؛ ولمعاينة آثار الوقعة شيئا شيئا. وللوقوف على تطهير المكان من رجس الخائنين، ومن إيجابيات المنتصرين، جند الله تعالى المغاوير.

بذور الفتنة وعوامل الفرقة (١)!

إن الناس يوم ذات الصواري، وإنما يعود الفضل فيها بعد رب العزة والجلال، وإلى كل من عثمان بن عفان ذي النورين، وأخيه معاوية بن أبي سفيان!

وإلا أنه ويكأن الله تعالى أراد أن يظهر قوما هكذا شأنهم، وحين يريدون أن يفسدوا على المسلمين حلاوة نصرهم، ومن دك شأفة عدو الله وعدوهم!

السلام للفكر والثقافة
www.sadafnet

وحين خرج محمد بن أبي حذيفة، ومحمد بن أبي بكر، فأظهرا عيب عثمان وما غير وما خالف أبا بكر وعمر، ويقولان: دمه حلال لأنه استعمل عبد الله بن سعد - وكان قد ارتد - وكفر بالقرآن العظيم وأباح رسول الله ﷺ دمه، وأخرج رسول الله ﷺ أقواما واستعملهم عثمان، ونزع أصحاب رسول الله ﷺ، واستعمل سعيد بن العاص، وعبد الله بن عامر[١٠٨].

وإلا أننا، ومع تقديرنا لما حكاه المؤرخون، ومن كمثل هذا الذي ساقوه، من حق، ومن كمثل هذا الذي تتبقى في النفوس منه بقية، وإنما نعده ومن ضرورة المراجعة التاريخية، لتاريخنا، فننقيه، ونهذبه، للأجيال.

وكثيرا ما وقع للمؤرّخين والمفسّرين وأئمّة النّقل من المغالط في الحكايات والوقائع ، لاعتمادهم فيها على مجرّد النّقل غثّا أو سمينا ، ولم يعرضوها على أصولها ولا قاسوها بأشباهها ، ولا سبروها بمعيار الحكمة ، والوقوف على طبائع الكائنات ، وتحكيم النّظر ، والبصيرة في الأخبار ، فضلّوا عن الحق ، وتاهوا في بيداء الوهم والغلط "[١٠٩].

وهذا الذي كان منه فعل ابن أبي السرح، وحين أبعدهما عن صفه، ولما فارقهما عن جيشه؛ وخشية الخلال، وخوف الاختلال!

وحين كان عزمه عقابهما، وإلا خوفه، ومن ألا يوافق أمير المؤمنين ذو النورين!

وهذا عمل القادة والرعية، وحين يكون هكذا القائد ومن إياه تقديرهم، ولما كان هذا أساسا من أسس عقائدهم، وهو ذلكم السمع والطاعة، في العسر وفي اليسر، ومن منشط ومن مكره أيضا!

---

(١٠٨)البداية والنهاية، ابن كثير: ج ٧ / ١٧٧

(١٠٩)تاريخ ابن خلدون: ١/ ١٣

السلام للفكر والثقافة
www.sadaf.net

وليس كان أعظم من مكره، وإلا هو ذاك مواجهة الروم وجيشها، وإذ كان منه هذا الذي حسبه ابن أبي السرح شرخا للصفوف، وشقا للرصوف.

مآلات الطغاة ونهايات البغاة

مقتل كسرى ملك الفرس وهو يزدجرد

إن الطغاة لا يحسبون يوم هلاكهم!

ويوم أن تقوم للحق دولته.

ويوما تعود للإنصاف جولته.

ويوم أن تعود لسلطان العدل هيبته!

وهذا كل غفلة!

وهذه كلها ميتة قلب!

ولأن التاريخ شهد، وسجل، وحفل، ومن كمثل قول ربنا الرحمن تعالى﴿ كَمْ تَرَكُوا مِن جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ * وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ﴾ [الدخان: ٢٥- ٢٧]. وغيرها مما قد حفل به قرآننا العظيم.

وإلا أن غفلة تنتاب قلوبا، وإلا أن سُهادا يخيم على كمثل هكذا نفوس، هزيلة، وحين قال ربنا تعالى ﴿ وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ [آل عمران: ٢٤].

وهذا الذي منه الآيات والعبر، لمصير من أدبر واستكبر!

السلام للفكر والثقافة
www.sadaf.net

والويل والثبور، ولمن كان منه التولي والدبر!

وهلاكا لمن نظر، أن القرآن سحر يؤثر!

وحين قد تلبس بمصيره المنتظر!

﴿ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ﴾ [سورة القمر: ٤٧].

وحين قد سجل التاريخ خزيا لكسرى!

وها هو يهرب كهر! أو من كشأن فئير!

وحين قد تهرب به قدمه، وانساخ معه لبه، وامتطاه ذله، وفارقه عزه!

وها هو الآن يسلم نفسه، أو أنه كان مستسلما، ولدى آحاد الناس! ومن بعد أن كان ذا مواكب، وركبان، وفرسان، وصولجان!

وإذ ما أغنى عنه تاجه، وها هو الآن يتوسده، وليقتل ومن بين يديه خواره، ولما كان على يدي هذا الذي كان منه جواره، وحين ألقى عليه ضيافته وأجاره!

وهذا في الدنيا خزيه! وما بالنا! ويوم القيامة، وما أدراك ما مآله!

وصدق الله تعالى ربنا الحق المبين، وحين قال ﴿ مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهْۖ* هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ﴾ [سورة الحاقة: ٢٨ و ٢٩].

وليروح معه ملكه، وليزول معه تاجه، وفي أدق ما يمكن وصفه، أو ما أطيق نعته، ورسمه، ووسمه!

السلام للفكر والثقافة
www.sadafnet

لنهاية ظالم، كان مستبدا.

وهكذا تكون نهايات البطالين، الكذابين، الأفاكين، لو كانوا يعلمون!

ولم يتركه مجيره، أو قلت الذي تحثث كسرى جواره!

ومن ذل، وحين قد ألقى عليه هلاكه! فردا أعزل! ولما لم يغن عنه جنده الكثيف من شيء، وحين امتطاه فأرداه، ولما استنامه فأهواه!

ومن كمثل عزلة كسرى يومه هذا!

وزيادة نكال، وإذ ها هو يجرد، ومن كل وسام، كان قد توسمه! ومن كل وشاح، كان قد توشحه، وعلى يد قاتله، وليروح ملك كسرى، ومن بعده غواره كسرى أيضا!

ومن شهادة مؤلمة للتاريخ، أنه، وهكذا تكون نهايات الطغاة، حسارى! خسارى! هلكى! أسارى! صرعى! ويكأنهم أعجاز نخل خاوية!

وهذا الذي نسخه لنا، وسجله، ومن أدق وصف، وأكمله، وأوجزه، وأخصره، وأقصره، ومن قوله تعالى ربنا الحق المبين ﴿ ٱلْحَآقَّةُ * مَا ٱلْحَآقَّةُ * وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحَآقَّةُ * كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادُۢ بِٱلْقَارِعَةِ * فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُواْ بِٱلطَّاغِيَةِ * وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُواْ بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ * سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٍ * وَجَآءَ فِرْعَوْنُ وَمَن قَبْلَهُۥ وَٱلْمُؤْتَفِكَٰتُ بِٱلْخَاطِئَةِ * فَعَصَوْاْ رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَّابِيَةً ﴾ [الحاقة: ١ - ١٠].

السلام للفكر والثقافة
www.sadafi.net

ولكنك قد عرفت كيف كان جنده قد أسلموه، وخذلوه، وهزموه، وحين لم يناصروه، ولم يؤيدوه، وتركوه!

ودلك على الذي قلته آنفا ذكر التاريخ هذا: قال ابن إسحاق: هرب يزدجرد من كرمان في جماعة يسيرة إلى مرو، فسأل من بعض أهلها مالا فمنعوه وخافوه على أنفسهم، فبعثوا إلى الترك يستفزونهم عليه، فأتوه فقتلوا أصحابه وهرب هو حتى أتى منزل رجل ينقر الأرحية على شط، فأوى إليه ليلا، فلما نام قتله[١١٠].

وإلا أن هلاكه آية، ودلالة نبوة العدنان، وعلامة على الفرقان، ودعامة لسيد ولد آدم.

وحين كانت أعلاما لم تتقادم!

فنورها راق، وهداها سامق، وعلاها باق!

ألم تر كيف كان قوله، ولما كان منه نبأه:

إِذَا هَلَكَ كِسْرَى فلا كِسْرَى بَعْدَهُ، وإِذَا هَلَكَ قَيْصَرُ فلا قَيْصَرَ بَعْدَهُ، والذي نَفْسِي بيَدِهِ لَتُنْفَقَنَّ كُنُوزُهُما في سَبيلِ اللَّهِ[١١١].

وكم كانت لنا من آية، وعبرة، ودلالة، على صدق هذا النبي، ويقين هذا الولي.

ومن إعلامه، ومن تأييد ربه له وإقراره.

ولما كان له سندا، ومنه كان له مددا.

---

(١١٠)البداية والنهاية، ابن كثير: ج ٧ / ١٧٨

(١١١)صحيح البخاري: ٣١٢١

السلام للفكر والثقافة
www.sadafnet

وهذا من فيض المؤازرة، ومن هدير المناصرة!

وحين كان من قوله الصدق عينه، ونفسه، وكله، وبعضه، وجزأه، وعمومه، ومجمله، وقيده، ومطلقه!

ومنه كان هلاكه، وتمزيقه، وفناؤه!

لا على سبيل ما عهد، ولا من طريق ما عرف!

بل من وحي هذا النبي، وحين مزقه الله تعالى، وملكه معه!

فعن عبدالله بن عباس: أنَّ رَسولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: بَعَثَ بكِتابِهِ إلى كِسْرَى، مع عبدِ اللَّهِ بنِ حُذافَةَ السَّهْمِيِّ فأمَرَهُ أنْ يَدْفَعَهُ إلى عَظِيمِ البَحْرَيْنِ، فَدَفَعَهُ عَظِيمُ البَحْرَيْنِ إلى كِسْرَى، فَلَمَّا قَرَأَهُ مَزَّقَهُ، فَحَسِبْتُ أنَّ ابْنَ المُسَيِّبِ، قالَ: فَدَعا عليهم رَسولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ أنْ يُمَزَّقُوا كُلَّ مُمَزَّقٍ[١١٢].

بشائر فتح القسطنطينية

ولأن هذا علم من أعلام نبوة هذا النبي محمد صلى الله عليه سلم.

وفتح كهذا أو كذا غيره وإنما تسبقه محاولات.

وكان منها محاولة معاوية بن سفيان، وحين راح إلى هنالك صحبة زوجه وإبان خلافة ذي النورين.

وحين كان منه للروم غزوه ولبلادهم فتحه.

([١١٢])صحيح البخاري: ٤٤٢٤

السلام للفكر والثقافة
www.sadaf.net

قس

ولكن مقاتلة شديدة وقعت وحين عاون الترك الروم مواجهة المسلمين.

ومنه كان هذا الذي وقع ومن هزيمة المسلمين يومهم هذا.

وفيها قتل عبد الرحمن بن ربيعة. ويقال إن أهل الترك ولا زالوا يستسقون به!

وأنف ذكر طرف من ذلك، وأنه ليس على عهد النبوة، ولا هو من أصول العقيدة، ولأن الاستسقاء يكون بحي فاضل، ولا شأن لفعل فاعل بعمله هذا.

ووجود المنكر لا يصلحه ولا يهبه رشاد.

الاختلاف شر

حين استشهد عبدالرحمن بن ربيعة، أمر سعيد بن العاص أخاه سلمان بن ربيعة على جيش الكوفة، وحين أمدهم الخليفة ذو النورين بجيش من الشام قيادة حبيب بن مسلمة.

وإلا أن خلافا وقع بين الأميرين!

وهذا أمر ممكن حدوثه!

والشأن أن الناس ومهما يكن من أمر وإنما هم بشر يسري عليهم قانون الاختلاف!

وهو من اختلاف التنوع لا من اختلاف التضاد!

وإلا أن أي خلاف حسن حسمه.

السلام للفكر والثقافة
www.sadafi.net

وهذا من إيجابيات هذا الدين واطلاعه نحو الهدف الأسمى لترشيد القيادة الواعية الرشيدة نحو أهدافها العليا.

وأهدافها العليا هي تمهيد البسيطة ومن عليها للدينونة لله تعالى بهذا الإسلام الحنيف الخالد.

الإسلام يفتح بلاد السند

وحين زحف ابن عامر الأحنف بن قيس إلى بلخ، ومن بعد فتح مرو الروذ!

وحتى اضطرهم إلى صلح كان منه دفعهم جزيتهم، ومن بعد انكسارهم ومن هزيمتهم أولا!

وهذا الذي حدث مع أهل بلخ أيضا.

في مسيرة الفتح المبين، وتعبيد الناس لرب العالمين.

ما تشاؤون؟

هذا استطلاع لروح الجند المعنوية وحين حط الشتاء برحاله على القوم ومن بعد نصرهم وفتحهم بلخ!

وهذا عمل إداري فائق يستحث منه القائد مكنونات وضمائر جنده.

وحين كان من استنارته ابن عامر الأحنف بن قيس، وألا يتخذ قرارا وحده، وإنما أمر المسلمين هو إلى الشورى وأقرب!

ولأن الشورى خير، ولأنها معين فضل أيضا.

السلام للفكر والثقافة
www.sadaf.net

إذا لم تستطع شيئا فدعه * وجاوزه إلى ما تستطيع

هذا رد عمرو بن معد يكرب، على ابن عامر الأحنف بن قيس، مسألة المشاورة أمر الشتاء الذي حل!

ومنه فقد أمرهم ابن عامر هذا أن يبقوا في بلاد بلخ، وإلى انتهاء برد الشتاء هذا، فيقومون قومة واحدة على عدو الله وعدوهم قنصا ورميا وقتلا وأشلاء قطعوها إربا إربا!

وحين كان من فضله تعالى فتوحات عدة، وعلى يد من هكذا الأحنف بن قيس بن عامر هذا!

وإلا أنه وحين أخبروه شكرهم وثناءهم؛ على جميل فتحه، وجليل عمله، وإنما أراد أن يشكر ربه تعالى، وحين كان منه الإنعام، ولما كان منه تعالى وحده الفضل والمن والجود والكرم ومن نصره العظيم، ومن فتح المبين.

ومنه كان من شكره عزمه الإحرام من مكانه خراسان، وإلى مكة البلد الحرام، وإلى أن يعتمر عمرة شكره هذا!

وإلا أن الخليفة ذا النورين، وإنما عاتبه، وألا يفعل فعله هذا؛ وخشية ما يعرض للعبد، طيلة سفره هذا!

وديننا الإسلام الحنيف الخالد، وإنما جاء ليرفع جهدا، وليضع إصرا؛ ومن قوله تعالى، منته على بني إسرائيل، ومنه على كل مدبر، عامل ليوم الحساب: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

السلام للفكر والثقافة
www.sadaf.net

أربعة آلاف يهزمون أربعين ألفا!

هذا سجل تاريخي هام!

وهذا مجد إسلامي حان!

وحين كان الناس يومهم هذا، وإنما كانت قلوبهم مفعمة بإيمانهم بالله تعالى ربهم الحق المبين.

ولولا أنه تعالى أمر الناس أن يتخذوا عددهم وعتادهم لملاقاة ربهم، وهذا سبب أملاه عليهم دينهم، وإلا أنه تعالى ما كان ليذر عبادا له، قاموا قومتهم هكذا، لله تعالى ربهم الحق!

ولا تقل أجل الاغتنام خرجوا!

ولأنهم ولو كان ذلك كذلك، وحين يرون أربعين ألفا من لدن قارن الكتابي المشرك، يومه هذا! وبالله لولوا مدبرين! ولو تركوا من خلفهم ما تركوا! من غنائم كانت لهم حلما!

ولأنه في العقل الصريح ما سجل التاريخ من كمثل هكذا تسجيل، وإلا لقوم مؤمنين، كان هذا وصفهم؛ ولأنهم وحين خرجوا، ولم يخرجوا إلا لله تعالى ربهم الحق المبين!

فن عسكري باهر

وحين أمر عبد الله بن خازم ستمائة من جنده أن يكونوا في المقدمة؛ وخدعة نصبوها للقوم يومهم هذا؛ وكيما يطمعوا؛ ومن قلتهم فيهم، فيقومون، ومن بعدها هبة رجل واحد، وبمن تبقى مع قارن القائد يومه هذا، ومن بقية الأربعين ألفا!

وهذا فن عسكري باهر!

السلام للفكر والثقافة
www.sadaf.net

وثمة فن آخر، وحين أمر عبد الله بن خازم هذا جند المقدمة أن يحملوا، ومن فوق رماحهم نارا تأجج! فيخيفون بهم عدو الله وعدوهم!

وهذا فن عسكري باهر أيضا!

وهذا الذي حدثن ويوم أن نصرهم ربهم، وحين غنموا وسبوا ما قرت منه أعينهم، ومن شكرهم لله تعالى ربهم الحق المبين.

فن إداري باهر

ومنه هو الذي بعث به عبدالله بن خازم إلى ابن عامر بشره بنصرهم، وكان منه مكافأته له، وحين أمره على خراسان، ومن بعد أن كان قد عزله عنها.

وهذا فن إداري باهر أيضا، وحين يكون منه تشجيع القادة وتكريمهم، ومن أمام جنودهم أيضا؛ فيتسابق الكل في ميادين البذل، ومن ثم يكرمهم قائدهم أيضا.

وهذا جنبا إلى جانب، ومن سابقة وأنهم لم يخرجوا، وحين خرجوا إلا لله تعالى ربهم الحق المبين سبحانه.

وفاة أبرار

وكان قد توفي في هذه السنة الثانية والثلاثين صحابة أبرار، وكان منهم عبدالله بن مسعود، دقيق الساقين!

وكان منهم عبد الرحمن بن عوف، وحين سمع أنه يدخل الجنة حبوا، وظنا حسنا بربه تعالى، أراد أن يدخلها أقتابا!

السلام للفكر والثقافة
www.sadafnet

فأنفق كثيرا كثيرا، وكان من نفقاته، ولما حضرته الوفاة، أوصى لكل رجل ممن بقي من أهل بدر بأربعمائة دينارا - وكانوا مائة - فأخذوها حتى عثمان وعلي، وقال علي: اذهب يا بن عوف فقد أدركت صفوها، وسبقت زيفها وأوصى لكل امرأة من أمهات المؤمنين بمبلغ كثير حتى كانت عائشة تقول: سقاه الله من السلسبيل[١١٣].

وكان منهم هو هذا أبو ذر الغفاري، جندب بن جنادة الأنصاري، رضي الله تعالى عنه. وقد أنف ذكر طرف من مناقبه.

ونزيد الأمر تأويلا شأن هذا الجيل! ومن كمثل أولاء الأجيال التي تركت لنا إرثها!

ووالله، وتالله، وبالله، ولولا أن التاريخ صدق، ولربما لقال الناس هذا خيال!

(١١٣)البداية والنهاية، ابن كثير: ج ٧ / ١٨٤

السنة الثالثة والثلاثون

وفيها فتح إفريقية مرة أخرى وعلى يد عبد الله بن سعد بن أبي سرح؛ ولنقضهم عهدهم، وإبان خلافة ذي النورين عثمان بن عفان.

بعث قراء الكوفة إلى الشام

هذا عمل ذي النورين، وحين حدثت بين أولاء القراء وبين أقوامهم ما أشبه الفتنة، ومن تنازع واختلاف.

وكان منه أمره رضي الله عنه أن يبعث بهم من الكوفة إلى الشام، تحت إمرة معاوية ولايته، وحين أوصاه بهم خيرا، وأن يتألفهم أيضا؛ ولأنهم قراء، ولأنهم من عموم أمة محمد صلى الله عليه وسلم.

وهو الأمر الذي يأخذه معاوية على جده، فأكرمهم مقامهم وأحسن وفادتهم، ومن بعد تذكيرهم ووعظهم أيضا.

وهذا عمل الأولى، وحين يرى الإمام أن ثمة بذور فتنة بدأت تشرئب أعناقها، وإلا أنه يعمل على وأدها حالا؛ ومن واجبه القيام على السلم الاجتماعي.

ولكنه وحين فعل ذلك، ودون أذية لأحد الفريقين، وإن جاز من عمله هذا، مسألة الإبعاد عن المقام، ولطالما كانت هنالك مصلحة راجحة.

وإلا أن القوم وقد أصروا على موقفهم، وقد أقاموا على تنقصهم لمعاوية، ومن بعد قريشيته أيضا؛ ولأنهم لم يناصروا النبي محمدا صلى الله عليه وسلم!

وهذا غاية في البعد! وإذ وما ذنب معاوية أو عثمان أو ما خلاهما والناس كفعلهم هذا؟!

السلام للفكر والثقافة
www.sadaf.net

ويكأن الناس لم يقفوا على حقيقة الدعوات الجديدة!

ويكأنهم وكيف كانوا قرأة! وإذ ها هو ورقة بن نوفل يخبر هذا النبي الجديد، وحين قال: ليتني فيها حيا إذ يخرجك قومك!

فعَنْ عائِشَةَ أُمِّ المُؤْمِنِينَ أنَّها قالَتْ: أوَّلُ ما بُدِئَ به رَسولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ مِنَ الوَحْيِ الرُّؤْيا الصَّالِحَةُ في النَّوْمِ، فَكانَ لا يَرَى رُؤْيا إلَّا جاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ، ثُمَّ حُبِّبَ إلَيْهِ الخَلاءُ، وكانَ يَخْلُو بغارِ حِراءٍ فَيَتَحَنَّثُ فيه - وهو التَّعَبُّدُ - اللَّيالِيَ ذَواتِ العَدَدِ قَبْلَ أنْ يَنْزِعَ إلى أهْلِهِ، ويَتَزَوَّدُ لذلكَ، ثُمَّ يَرْجِعُ إلى خَدِيجَةَ فَيَتَزَوَّدُ لِمِثْلِها، حتَّى جاءَهُ الحَقُّ وهو في غارِ حِراءٍ، فَجاءَهُ المَلَكُ فقالَ: اقْرَأْ، قالَ: ما أنا بقارِئٍ، قالَ: فأخَذَنِي فَغَطَّنِي حتَّى بَلَغَ مِنِّي الجَهْدَ ثُمَّ أرْسَلَنِي، فقالَ: اقْرَأْ، قُلتُ: ما أنا بقارِئٍ، فأخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّانِيَةَ حتَّى بَلَغَ مِنِّي الجَهْدَ ثُمَّ أرْسَلَنِي، فقالَ: اقْرَأْ، فَقُلتُ: ما أنا بقارِئٍ، فأخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّالِثَةَ ثُمَّ أرْسَلَنِي، فقالَ: {اقْرَأْ باسْمِ رَبِّكَ الذي خَلَقَ (١) خَلَقَ الإنْسانَ مِن عَلَقٍ (٢) اقْرَأْ ورَبُّكَ الأكْرَمُ} [العلق: ١- ٣] فَرَجَعَ بها رَسولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ يَرْجُفُ فُؤادُهُ، فَدَخَلَ على خَدِيجَةَ بنْتِ خُوَيْلِدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْها، فقالَ: زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي فَزَمَّلُوهُ حتَّى ذَهَبَ عنْه الرَّوْعُ، فقالَ لِخَدِيجَةَ وأَخْبَرَها الخَبَرَ: لقَدْ خَشِيتُ على نَفْسِي فقالَتْ خَدِيجَةُ: كَلّا واللَّهِ ما يُخْزِيكَ اللَّهُ أبَدًا، إنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وتَحْمِلُ الكَلَّ، وتَكْسِبُ المَعْدُومَ، وتَقْرِي الضَّيْفَ، وتُعِينُ على نَوائِبِ الحَقِّ، فانْطَلَقَتْ به خَدِيجَةُ حتَّى أتَتْ به ورَقَةَ بنَ نَوْفَلِ بنِ أسَدِ بنِ عبدِ العُزَّى ابْنَ عَمِّ خَدِيجَةَ وكانَ امْرَأً تَنَصَّرَ في الجاهِلِيَّةِ، وكانَ يَكْتُبُ الكِتابَ العِبْرانِيَّ، فَيَكْتُبُ مِنَ الإنْجِيلِ بالعِبْرانِيَّةِ ما شاءَ اللَّهُ أنْ يَكْتُبَ، وكانَ شيخًا كَبِيرًا قدْ عَمِيَ، فقالَتْ له خَدِيجَةُ: يا ابْنَ عَمِّ، اسْمَعْ مِنَ ابْنِ أخِيكَ، فقالَ له ورَقَةُ: يا ابْنَ أخِي ماذا تَرَى؟ فأخْبَرَهُ رَسولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ خَبَرَ ما رَأَى، فقالَ له ورَقَةُ: هذا النَّامُوسُ الذي نَزَّلَ اللَّهُ على مُوسَى، يا لَيْتَنِي فيها جَذَعًا، لَيْتَنِي أكُونُ حَيًّا إذْ يُخْرِجُكَ قَوْمُكَ، فقالَ رَسولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: أوَ مُخْرِجِيَّ هُمْ، قالَ: نَعَمْ، لَمْ يَأْتِ رَجُلٌ قَطُّ بمِثْلِ ما جِئْتَ به إلَّا

عُودِيَ، وإنْ يُدْرِكْنِي يَوْمُكَ أنْصُرْكَ نَصْرًا مُؤَزَّرًا. ثُمَّ لَمْ يَنْشَبْ ورَقَةُ أنْ تُوُفِّيَ، وفَتَرَ الوَحْيُ. وقال : يونس ومعمر (بوادره)[١١٤].

والشاهد قوله: لَيْتَنِي أكُونُ حَيًّا إذْ يُخْرِجُكَ قَوْمُكَ، فقالَ رَسولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: أوَ مُخْرِجِيَّ هُمْ، قالَ: نَعَمْ، لَمْ يَأْتِ رَجُلٌ قَطُّ بمِثْلِ ما جِئْتَ به إلَّا عُودِيَ!

ومن هكذا بلاء رباني يجابهه أصحاب الدعوات، وحين يكون بداء العداوة ومن قومه!

وهذا فيه إعجاز، ومن حيث ليس يقال ولولا قومه!

ولهذا أوقف الله تعالى العبيد على أن النصر من عنده وحده، وفي سائر مواقف القرآن العظيم، الذي كانوا به وله قرأة!

ومنه هو هذا الذي نحن بين يديه أيضا، وحين قد نفي القرآن نفسه، العلم عن يهود، وعن غيرهم، ومم سار سيرهم هذا؛ ولما لم يعملوا بموجبه، ومن قوله تعالى﴿ وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَٰكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ ۚ وَمَا هُم بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ۚ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ ۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ ۚ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٠٢].

والشاهد قوله تعالى: ﴿ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾، ومن بعد قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ ﴾.

---

(١١٤)صحيح البخاري: ٣

السلام للفكر والثقافة
www.sadal.net

فإنه قد نفى عنهم علمهم، ومن قوله تعالى﴿ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾، ومن بعد إثباته لهم في ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا ﴾.

وعلى كل حال فإن هذه فتنة، عافانا ربنا تعالى منها، وحين يزيغ القرأة!

وهذا الذي نقف عنده أيضا، ومن ضرورة فقه بالقرآن، وإذ ولعلهم لم يكونوا سوى قرأة له! ولم يكونوا ذوي علم بموجب قراءاتهم!

وهذا الذي يكون بلاء عظيما وفتنة وشرا مستطير!

ولأنه قد عرف عن كثير من القرأة اتباعهم لكل ذي صوت، ودون دراية بمآلات ما يحملون في صدورهم من ألفاظ القرآن مبانيه، ودون وقوفهم على مآلاته ومعانيه ومراميه، فضلوا واضلوا كثيرا عن سواء السبيل!

ولأن القوم قد أصروا ومن علاجات كثيرة من لدن ذي النورين، ومن لدن معاوية صاحب الشعرة! ومن لدن ابن أبي طالب ومن لدن عبد الرحمن بن خالد بن الوليد، وحين اضطروا إلى حمص مقاما، ومن بعد أن ضاقوا بهم ذرعا جميعهم!

السلام للفكر والثقافة
www.sadaf.net

بذور الفتنة وعوامل الفرقة (٢)!

ومرة أخرى يدق الإسفين، وتظهر بوادر بذور الفتنة الثانية!

وحين استجمع قوم من الكوفة أمرهم؛ معارضة هذا الخليفة، الذي قال النبي صلى الله عليه وسلم يوم العسرة: ما ضر عثمان ما فعل بعد اليوم!

إن نبينا صلى الله عليه وسلم وحين زوج ابنتيه رقية وأم كلثوم لهكذا ذي النورين، وإنما كانتا تكفيان أن يكون اختيار لزوج ومن محله، وفضلا عن أنه كان من العشرة المبشرين بالجنة!

وفضلا عن أن يكون ومن قوم أثنى عليهم ربنا الرحمن يوم أن قال فيهم ومن أمثالهم ومن إخوانهم الذين قد تنزل فيهم قرآن يتلى إلى يوم الدين، ومن كمثل قوله تعالى هذا: ﴿ وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٠].

وقد كان يكفي ألا يناظر، أو أن يقاوم، أو أن يكَذَّب، أو أن يعادى!

ولكنك وماذا أنت قائل، وهكذا سجل التاريخ؟!

وحين تجامع القوم عليه، وتجاسروا أيضا عليه، وليرسلوا من يجادله إليه!

والإسلام ليس يعيب، بل يطلب أن يناقش القوم أميرهم، ولكن أن يكون على هكذا ومن شؤم انقلاب عليه، فإن ذلك هو الذي يوقف عليه، ومن إنكار، ولما كان وصف الرجل، بعضا ومما شرحت آنفا!

السلام للفكر والثقافة
www.sadat.net

بل نحن بين يدي سيرة عبقة، كلها جهاد وفتح ونصر وغنم وسبر وعدلوسبر وجبر ولين ورحمة وعدل!

أو أمام كل هذا يجادلون جدال البغي والانقلاب؟!

ولست أدري ما حكاية الكوفة هذه؟!

وحين قد خرجت منها بذور فتن لا كفتنة واحدة!

ولله تعالى الأمر، ومن قبل ومن بعد، وإليه تعالى يرجع الأمر كله.

ولم يعين ذو النورين بعضا، ومن قرابته ومن بني أمية؟!

نحن وحين ننظر إلى هذا، وإذ لسنا نجد فيه ولو غضاضة واحدة!

ولأن الرجل وكما قد عين من ذوي قرباه، ولعلمه عنهم، ومن ثقته فيهم، وهذا شأن جيد؛ ولأنهم أقرب إليه، ومنة حيث مسألة الجرح والتعديل، وإن مخابراته عليهم ولعلها تؤتي أكلها، وأعظم مما ولو كانت على قوم من غير ذوي قرباه.

وهذا شأن ملاحظ.

وإن الرجل وقد وظف وأمر وممن سواهم، ومن هكذا الصحب الكريم أيضا!

وإن الرجل لديه صلاحياته واجتهاده!

وإن الرجل لحسن الظن به واجب، ولما أنف وغيره معه!

السلام للفكر والثقافة
www.sadaf.net

ولهذا السبب نحن ننظر إلى هذا، ويكأنه ومن قبيل ما أعد له بليل! ومن بذور الفتنة، وكما قد عنونت لها!

ولكن الرجل لم يضرب في المليان! ولم يثخن في الميدان!

ولأنه يخشى مولاه، ويستلهم منه تعالى هداه وسناه!

وحين استدعى أهل شوراه!

وهذا بادرة حسنة؛ في تعليم الناس، وكيف يكون الأمير مع ما أنزله مولاه تعالى يوما ومن قوله تعالى ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

وحين قد استدعى، وكما أقول أمراءه ووزراءه؛ وكيما يوقفهم على حقيقة الأمر، وكيما يستشيرهم، وماذا هو فاعل، وكيما يذكر التاريخ عنه عمله الصالح هذا!

والحق أقول إن القوم الذين استشارهم أجمعوا على إقراره، وعلى ضرورة مواجهتهم، وإن قتالا، وإن تأليفهم بمال، وإن بإشغالهم بالغزو قضا لمضاجع رغائهم هذا! فلا يجدون وقتا يلهون فيه لهوهم هذا!

وإلا أن الرجل استجمع كل ما أنف، وتجاسر على سائر ما سلف، وحين بعثهم للغزو، وأن نعم، وإلا أنه تألفهم بالمال أيضا!

وهذه حكمة القائد.

السلام للفكر والثقافة
www.sadafi.net

وللتاريخ يذكر هذا، وكيف كانت مهارته، ولما كانت تلك ومن جيد وحسن إدارته!

وإلا أن القوم، وحين عادوا ومن غزوهم، ومن غنائمهم، ومن أعطياتهم، ويكأنهم وقد عمل فيهم الوسواس عمله، وحين أصروا على ما كانت قد أكنته صدورهم، وما كانت قد أعلنته ألسنتهم!

وحين قاموا هم بما يشبه عزل سعيد بن العاص! وحين أقسموا قسمهم ألا يدخل عليهم هذا وإلا أن يبدله الخليفة عثمان! بأبي موسى الأشعري!

وهل ها هنا صار ذو النورين خليفة لهم ومن جد؟! وحين أمسكوا سلاحهم وأشرعوا رماحهم وأبدوا استعدادهم ومن مكرهم هذا!

وحين انقسم الناس فريقين: فريقا مع، وآخر ضد!

وإلا أن كياسة قد ركبها سعيد بن العاص، وحين سارعته قدماه إلى المدينة؛ حقنا للدماء، وإفساحا لفرصة يحي الخليفة فيها سنته وعدله وقراره وإحسانه!

وحين وقف ذو النورين على رأيهم، وأمر عليهم مرادهم، هو هذا أبو موسى الأشعري!

ومرة أخرى إن هذه لحكمة، وإن هذه لعبرة، وكيف كانت من ذي النورين، بل ليس يجيء منه وإلا ومن كمثل هذا، حكمة وحلما، ومن أمثال الذين ﴿ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٠].

السلام للفكر والثقافة
www.sadal.net

أصول التشيع اليهودي!

وكما قد مر بنا يوم الفاروق، وحين كانت من أبي لؤلؤة المجوسي، ما قيل إنه تظاهر بالإسلام؛ وحتى يوم قتله الفاروق هذا!

ومنه كانت الفتنة وبذورها وذيوعها، وعلى يد عبد الله بن سبأ اليهودي، وحين قيل إنه هو الآخر قد تظاهر بالإسلام أيضا!

وحين ألوى، وحين أظهر خلاف ما أبطن، ولما كانت من دعاواه، هو هذا الذي يقولونه أهل التشيع يومهم هذا!

وحين رأى أنه كيف يمكن لعيسى بن مريم أن ينزل مرة أخري؛ ليقاتل الدجال، ومن كان بها أولى، أمحمد خاتم النبيين ، وهو الأفضل أم هذا الذي هو عيسى بن مريم؟!

ويكأنه وصي على أقدار ربنا تعالى!

وها هو النبي محمد صلى الله عليه وسلم، يروي لنا أعلاما، وللتاريخ أيضا؛ ولأنه وكما كان القرآن ليس من تأليفه، وحين كان أميا، ويكأنه أيضا يسوق وحيا ومن سننه، وإذ ليس له فيه من خيار!

وها نحن نقف على مسألة العبودية، وحين كان هذا من هذا!

وإلا أن عبد الله بن سبأ هذا، وحين قد ألوى أيضا، وأن محمدا، وأن نعم خاتم الأنبياء، وإلا أن عليا هو خاتم الأوصياء!

وهذا قول القوم الذي يقولونه سرا وجهرا!

السلام للفكر والثقافة
www.sadafnet

ونحن نريد مراجعة لموقف علي من هذه الفتنة، وحين ذكر الإمام العماد الحفظ منطقا، ولربما أراه أبعد النجعة، لا من قوله، أو من قوله، ولكن من نقله، وعمن قد نقل عنهم نقله هذا!

إن عليا يعرف مقام عثمان، والعكس بالعكس أيضا!

وإن النقر على زاوية أن معاوية هو الآخر أضمر في نفسه شيئان ولو كان شيئا ما!

وإنما يحتاج كل هذا على الأقل، ومن وجهة النظر التاريخية المحضة، أن يجرح وأن يعدل؛ ولأنه خطير!

ولأن ما قلناه فيهم أجمعين إنهم رضي الله عنهم ورضوا عنه!

وإن قوما هذا وصفهم ليبعد عنهم إضمار، وليغيب عنهم، ومن كمثل هذا الذي أشتمه، ومن عبارات التاريخ تلك!

إن وقفة علي على عثمان، وإن صحت! وإنما ويكأنه انتحل قميص الأفاكين؛ كيما يستنقذ الردود، من ذي النورين، وليذكرها التاريخ، وكما قد أجاب مسألة معاوية!

أيعينه- معاوية- الفاروق وترضون، وحين يعينه ذو النورين تقولون من بني أمية؟!

وذات المنطق هو الذي أفهمه ومن وقوف معاوية على عثمان أيضا؛ ولأنه كان قد قرأ عيونا وما تخفي صدورهم أكبر!

فخشي الفتنة وأوقف عثمان عليها؛ وكيما يتخذ حذره نحوها، فلا يميل ميلا عن هدف، ولا يقصين، وإلا من دين، وإلا من مشورة.

السلام للفكر والثقافة
www.sadaf.net

وهذا الذي فعله ذو النورين، يوم بادرة قد عصفت بريحها العقيم تلك!

السلام للفكر والثقافة
www.sadaf.net

السنة الخامسة والثلاثون

إشهاد الثقلين على فضل ذي النورين

نبأ كدير وشر مستطير!

وحين كان من عمل الشيطان ورجسه، وإذ لا يزال يعمل عمله، في العبد، وحين ييأس أن يعبده العابدون لربهم الحق، وإنما لم ييأس من التحريش بينهم، وإنما لم يسكن، وحتى يفرق بين المرء وزوجه، ولم يزل هكذا دأبه، حتى يفرق بين معاشر المؤمنين، أمراء، ومأمورين، وخلفاء، وولاة، وقادة أيضا.

وهذا الذي كان منه حديث نبينا محمد صلى الله عليه وسلم: إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ أَيِسَ أَنْ يَعْبُدَهُ الْمُصَلُّونَ فِي جَزِيرَةِ الْعَرَبِ، وَلَكِنْ فِي التَّحْرِيشِ بَيْنَهُمْ[١١٥].

ويكأن العجب والذهول! ومن هكذا فعله في القوم! وها هم أبناء المدرسة الأولى!

وهو الذي يكون منه عض على ألسنة، واستمساك بالطريق، ولفظ للبدعة، وانحياش عن المعصية؛ ولأنه وإذا كان قد وسوس لأبناء المدرسة الأولى، وسواسه هذا، وإذ فما بالك بفعله في غيرهم؟!

وهذا الذي جاء منه حق الاستعاذة منه بالله تعالى ربنا الحق المبين.

([١١٥])صحيح مسلم: ٢٨١٢

السلام للفكر والثقافة
www.sadafi.net

ومنه كان هذا الذي ظلت طائفة الخوارج لتعمل خبثها ولؤمها؛ وكيما تنتقض عرى الخلافة العاصمة، عروة عروة، وبه تكون قد خليت أمامهم الساحة؛ وليفعلوا فعلهم، ومن بدعتهم، ومن بعدهم عن السواء.

وها هي الساحة قد أصبحت خالية من دعاة للحق به عاملون.

وها هو الحقل قد أصبح ممهدا أيضا؛ ولاستشراف الشرور، ومن بعد أن ذهب فلق الصباح المبين المشرق البهيج، وليحل محله هو هذا الظلام البهيم.

ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم!

ومنه أيضا فعلت الخوارج فعلها في أمير مصر عمرو بن العاص، وحين كان جديدا عليهم! وإذ لم تتبد منه وما منه يعرفونه! وإنما أرادوا إزاحته؛ وليحل الخليفة عثمان محل غيره!

وهذا ليس محبة لبديل لعمرو! ولا كراهية لشأن عمرو! وإنما كيما يفرغوا الساحة، ومن هذا الذي يقف أمام عبثهم موقف الجادة المهورة بقوة القانون!

وإلا أن نفس الباطل كان طويلا متصبرا لئيما، وحين ظلوا يوقعون بينه وبين الخليفة عثمان، وحتى حقق لهم مرادهم، ومذهبا منه أنه بذلك يحافظ على السلام الاجتماعي للأمة؛ وكيما لا ينفرط عقدها، وكيما تخلد إلى تخطيطها، وعمرانها، وأبهتها، ومجابهة عدو الله تعالى وعدوهم.

وهو الشأن الذي توا كان منه عزل ابن أبي العاص قريبا!

ويبدو أن الفتنة قد حيكت حبالها، ومن كل حدب وصوب، على هذا ذي النورين! وإذ لم يعمل فيهم هذا اللقب، ومن عمله!

السلام للفكر والثقافة
www.sadaf.net

وإذ كيف يعمل وبينهم ومن كمثل عبد الله سبأ اليهودي!

وهكذا، وكما نقول تجمع الباطل، ومن باطله على الحق وأهله؛ نيلا من رأس العدل والحق ذي النورين هذا!

وقد تمت إقالة عمرو بن العاص!

وها هو أيضا يحل محله عبد الله بن سعد بن أبي سرح.

ولم تزل الخوارج تبث سمومها، وإلى أن حدث بين القائدين ما حدث، وهما القريبان أيضا!

وحتى كان منه استدعاء ذي النورين لعمرو وإبعادا له عن مركز الإمارة في مصر؛ ولعله أن يسكن ما قد حدث بينهما، ومما حدث سبب هذا الوقيعة، التي كان قد أخذ لواءها هم أولاء الخارجون، ومن مصر، كالخوارج، ومن المدينة، ومن كمثل اليهودي عبدالله بن سبأ ذاك!

ويبدو أن اقتراب عمرو من ذي النورين، وبدل أن يمهد طريقا للاقتراب، وإلا أنه قد عبثت به الأيدي أيضا؛ ليمتطوه طريقا للتناول، وللخروج، وحتى عن حدود ما قد عابه الإسلام يومهم هذا! وما لأجله قد انحاشوا من كفرهم إلى إيمانهم، وهو هكذا عيبة الجاهلية الأولى، وحين تداخل عمرو، وأنه أقرب إلى العلو قيمة، ومن بطن، ومن بطون بني أمية على ذي النورين!

وليذكره ذو النورين هذا، أنها عيبة الجاهلية الأولى!

ولكن هكذا كان بإبليس اللعين بينهم مدخله، وكان منه شره ووباله على الأمة أجمعها؛ ولأنه إذا انفرط عقد السلطة المركزية للأمة، فما عداها أصبح أمرا ميسورا!

السلام للفكر والثقافة
www.sadaf.net

وهذا الذي قلناه، وحين نقم أهل مصر على عبد الله بن سعد بن أبي سرح! ولأن الهدف ليس هذا أو ذاك من الولاة، وبقدر ما هو الرغبة في الخروج! ومن نهمة الانشقاق! ومن بادرة الخلاف والشقاق؛ لإسقاط هذه الخلافة الرشيدة! والتي منها العصمة، والتي بسببها كان هو هذا الفتح المبين ،ولتقف عاجزة عن حل مشاكلها البينية، مشغولة بها، وعما أسموه بالفتح المبين هذا!

ولأن القوم، وإن أخفوا وإلا أنهم لم ينسوا فتح المقدس! وها هم يريدون؛ ومن لؤمهم الرجوع إليه، المرة الأخرى!

والأمر ذو شجون إذن!

وكان من دخل في دهاليز الفتنة هما هذان الصنوان، ومن بيت الخلافة محمد بن أبي بكر، ومحمد بن أبي حذيفة!

وهذا الذي يفعل فعله في القوم أنكى، وإذ وإذا كان كل من هذين غير راض عن ذي النورين، فمن غيره يكون أمرا مقبولا!

وهكذا يحذر عمل الفتنه وضررها؛ ولأنه قد تطاولت، حتى نالت عصب القرار، ومركز التوجيه، والخطيط، والتنفيذ؛ لإعلاء كلمة الله تعالى الحق المبين!

تاريخ شاهد!

وهذا الذي منه يعض خائف ويندهش مراقب!

وها هو الأمر، وكما قلت آنفا له جذوره، وأبعاده السحيقة، العميقة!

وحين كان هذا محمد بن أبي حذيفة ذا أصل في الهرج والمرج!

السلام للفكر والثقافة
www.sadafi.net

ويوم أن اعتلى منبرا وقرأ قرآنا، ومن صوت عذب!

وإلا أن الصوت العذب شيء، وإلا أن تلاوته حق تلاوته شيء آخر!

ولهذا قال ربنا تعالى ﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [سورة البقرة: ١٢١].

وحين قد دس دسائسه، وعمل عمله، وإذ يتفرسه ومن معه! وحين قد ألقى عليه عباءة الخوارج يومه هذا!

فعن عبد العزيز بن عبد الملك بن مليل، حدثني أبي قال: كنت مع عقبة بن عامر جالسا بقرب المنبر يوم الجمعة، فخرج محمد بن أبي حذيفة، فاستوى على المنبر، فخطب، وقرأ سورة - وكان من أقرأ الناس - فقال عقبة: سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول: ليقرأن القرآن رجال لا يجاوز تراقيهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية. فسمعها محمد بن أبي حذيفة، فقال: والله لئن كنت صادقا - وإنك ما علمت لكذوب - إنك لمنهم[١١٦].

هل للرجل شأن مع عبدالله بن سبأ؟!

وهذا الذي منه يحار عقل!

وإذ كيف كانت ليهود، ومن كمثل هكذا اليد الطولى؛ حتى يصلوا إلى عقر دار الخلافة، وسلطة اتخاذ القرار، ومركزه هذا؟!

وهذا الذي منه أخاف!

([١١٦])سيرة أعلام النبلاء، الذهبي: ج٣ / ٤٨٠

السلام للفكر والثقافة
www.sadafu.net

وحين كان محمد بن أبي حذيفة هذا تربية مائدة ذي النورين!

وهل رباه القوم وعلى عين منهم! وحين قد أوقفوا عينهم عليه! وهو إذ لا زال رضيعا في بيت عثمان بن عفان؟!

إن سياسة النفس الطويل مع الأعداء دأب!

وهذا الذي منه أخاف!

فعن ابن سيرين ؛ أن محمد بن أبي حذيفة بن عتبة وكعبا ركبا سفينة، فقال محمد: يا كعب ! أما تجد سفينتنا هذه في التوراة كيف تجري ؟ قال: لا، ولكن أجد فيها رجلا أشقى الفتية من قريش، ينزو في الفتنة نزو الحمار، لا تكون أنت هو[١١٧].

وقفة معاوية

ويقيض ربنا تعالى من يأخذ حق هذه الأمة، وحين قد عمل فيها خلالها!

فعن عن يزيد بن أبي حبيب، قال: انطلق ابن أبي حذيفة مع معاوية، حتى دخل بهم الشام، ففرقهم نصفين، فسجن ابن أبي حذيفة وجماعة بدمشق، وسجن ابن عديس وجماعة ببعلبك[١١٨].

وقال ابن يونس: قتل ابن أبي حذيفة بفلسطين سنة ست وثلاثين وكان ممن أخرجه معاوية من مصر.

([١١٧])سيرة أعلام النبلاء، الذهبي: ج٣ / ٤٨١
([١١٨])سيرة أعلام النبلاء، الذهبي: ج٣ / ٤٨١

السلام للفكر والثقافة
www.sadal.net

وهذا الذي قاله الإمام الذهبي رحمه الله تعالى: عامة من سعى في دم عثمان قتلوا، وعسى القتل خيرا لهم وتمحيصا[١١٩].

وحين أجمع القوم أمرهم زحفهم إلى المدينة صفة المعتمرين!

وإنما اتخذ ذو النورين عدته، ومن مهارة قراره، وحين انتدب عليا بن أبي طالب، أن يقابلهم خارج المدينة؛ ولئلا يعكرون صفوها ،وإذ هي سالمة ومن أمنها، وخالدة وإلى نعمة ربها!

وكان منه أن أمر سعد بن أبي وقاص أن يخرج معه، ومن رغبة من علي بن أبي طالب، ردءا يصدقه! ولكنه أبى؛ ومن شيء كان في نفسه، من ذي النورين!

وحين أخذ عليه أنه أدب عمارا بن ياسر!

ويكان الخليفة ليس له أن يؤدب أحدا من رعيته، وهو إذ ممسك بأزمة الأمور، ومنها هو هذا القضاء العادل!

هل هي مآخذ على عثمان حقا!

وحين واجههم علي بن أبي طالب ومما تنقمون على ذي النورين قالوا:

منها:

١- أنه حمى الحمى.
٢- وأنه حرق المصاحف.
٣- وأنه أتم الصلاة.

([١١٩])سيرة أعلام النبلاء، الذهبي: ج٣ / ٤٨١

السلام للفكر والثقافة
www.sadafi.net

٤- وأنه أولى الأحداث الولايات.

٥- وترك الصحابة الأكابر.

٦- وأعطى بني أمية أكثر من الناس.

فأجاب علي عن ذلك:

أما الحمى: فإنما حماه لا بل الصدقة لتسمن، ولم يحمه لإبله ولا لغنمه، وقد حماه عمر من قبله.

وأما المصاحف: فإنما حرق ما وقع فيه اختلاف، وأبقى لهم المتفق عليه، كما ثبت في العرضة الأخيرة.

وأما إتمامه الصلاة بمكة: فإنه كان قد تأهل بها ونوى الإقامة فأتمها.

وأما توليته الأحداث: فلم يول إلا رجلا سويا عدلا، وقد ولى رسول الله ﷺ عتاب بن أسيد على مكة، وهو ابن عشرين سنة، وولى أسامة بن زيد بن حارثة.

وطعن الناس في أمارته فقال: إنه لخليق بالإمارة.

وأما إيثاره قومه بني أمية: فقد كان رسول الله ﷺ يؤثر قريشا على الناس، ووالله لو أن مفتاح الجنة بيدي لأدخلت بني أمية إليها.

شأن عمار ومحمد بن أبي بكر: وأما عتبهم عليه في عمار ومحمد بن أبي بكر، وإلا أن هذا داخل في اختصاصات الأمير، وإلا كيف يصون للأمة عهدها، الذي قد واثقها عليه، ويوم أن بايعوه؟!

السلام للفكر والثقافة
www.sadat.net

مسألة النفي والإبعاد والرد: وأما أن ينفي أحدا، أو أن يرده أيضا، فإن ذلكم ومن ألف باء السلطة المخولة للحاكم، وحين يتخذ من الإجراءات العقابية، ما يراه حافظا بها للنظام العام والآداب للأمة بأسرها، وإلا انفرط عقده وعقدها!

وردهم إلى قومهم فرجعوا خائبين من حيث أتوا، ولم ينالوا شيئا مما كانوا أملوا وراموا، ورجع علي إلى عثمان فأخبره برجوعهم عنه وسماعهم منه[١٢٠].

غير أن الناس يومهم هذا، ورغبة منهم في وأد الفتنة وشررها؛ لإرادة ذي النورين، أن يستعتب، ومما حدث من توليته بعضا من بني أمية!

وإلا أن الرجل ومن كعادته أراد أن يفسح المجال كله للسلم الاجتماعي!

وكان منه هذا!

ثم طالبوه إلقاء خطبة، منها يطفئ نارا تأجج لهيبها، وتطاير شررها، حتى كاد ومن سعيرها أن تأكل الأخضر واليابس، في أرض وميدان الخلافة الواسع العريض الممتد!

ويكأن الرجل، ومن عادته السلم الاجتماعي، ومن خلقه الأمن الخلقي، وإذ اعتلى المنبر فقام خطيبا فقال:

اللهم إني أستغفرك وأتوب إليك، اللهم إني أول تائب مما كان مني، وأرسل عينيه بالبكاء، فبكى المسلمون أجمعون، وحصل للناس رقة شديدة على إمامهم، وأشهد عثمان الناس على نفسه بذلك، وأنه قد لزم ما كان عليه الشيخان أبو بكر وعمر رضي الله عنهما، وأنه قد سبل بابه لمن

([١٢٠])البداية والنهاية، ابن كثير: ج ٧ / ١٩٢

السلام للفكر والثقافة
www.sadaf.net

أراد الدخول عليه لا يمنع أحد من ذلك، ونزل فصلى بالناس. ثم دخل منزله، وجعل من أراد الدخول على أمير المؤمنين لحاجة أو مسألة أو سؤال لا يمنع أحد من ذلك مدة[١٢١].

موقف مروان بن الحكم

حين تجمهر القوم على باب ذي النورين؛ ولأنه أمر دبر بليل.

وها هي خيوط نسجتها أيد لئيمة حتى أوقعت الناس في فتنة عارمة، كادت أو كأنها لتأكل الأخضر واليابس.

وإن غدا لناظره لقريب، أو هكذا تتوالى الأحداث، نحو هدف وضيع، وشأن قريع!

وحين شد مروان على الإمام ألا يخاف، وألا تأخذه فيهم هوادة!

وإلا أن امرأته نائلة بنت الفرافصة كانت حصيفة، ومن حصافتها قرأت المشهد، ويكأنها قد قرأته كله، صحيفة مكتوبة بين يديها! وحين أخبرته أن النهاية هي قتل أمير المؤمنين! صاحب بئر رومة! ومجهز جيس العسرة! وجامع القرآن، والذائد بالمال والبنان، والمبشر بالجنان والرضوان، وزوجاه هما النوران!

وإلا أنها حكمة قد عليه غلبت.

وهذا شأن الفرساء، ينعم ربهم عليهم بنعمه، ويتفضل عليهم ومن فضله.

وإلا أني رأيت أن المشهد قد بانت ثورته! واتضحت نتيجته، المرة، العلقم، الصبر!

ويكأن ذا النورين نفسه، وإذ لم يغب عنه من ذلكم من شيء! وإن هي إلا حكمته وصبره، وثبره!

([١٢١])البداية والنهاية، ابن كثير: ج ٧ / ١٩٢

السلام للفكر والثقافة
www.sadaf.net

موقف علي بن أبي طالب

وإذ حكى التاريخ أن عليا بن أبي طالب، ومن قراءته المشهد، رأى أن يعلم ذا النورين، وألا يسير نحوا، ومما ألقاه على سمعه مروان بن الحكم!

وأعلمه أنه وإن لم يأخذ برأيه وقراءته للمشهد، وكما قد قرأته زوجه نائلة بنت الفرافصة، ولربما وكما قد قرأه هو، ومما أسلفت الآن توا! ولربما كانت الأمور متجهة نحو تصعيد آخر!

وحين غالبته امرأته بكلامها، وفصيح لسانها، وأنه حان وقت الاسترضاء، لينأى بنفسه عما أوحاه إليه مروان بن الحكم من داعية الاسترخاء!

وكان منه اعتذاره وتوبته!

ولكن القوم ولأن ظاهرهم دبر بليل، وإذ لم يلوذوا إلى سكناهم، ومن بعد استرضائه إياهم!

ولأنه أمر دبر بليل!

تجميع الفرقاء!

وها هم أهل مصر، ومنهم هو هذا الذمي. الذي كان ذميا هو ابن السوداء هذا!

ويطالبون أميرا لهم هو علي بن أبي طالب!

وها هم أهل الكوفة، ويطالبون أميرا بديلا لعثمان هو الزبير بن العوام!

وهاهم أهل البصرة، ويطالبون بديلا لذي النورين هو طلحة بن عبيد الله!

وهكذا سار الناس، ويحملون ومن بين جنوبهم خلافهم! وتآكل جمعهم هذا!

السلام للفكر والثقافة
www.sadafi.net

وإلا أنه وكما قلت، وهذه عوامل، كان قد بثها عبدالله بن سبأ اليهودي هذا!

وخيوط المقصلة تتداخل بينه وبين عمل الذي كان ذميا هو ابن السوداء هذا!

وهذا الذي أنبأناه قرآننا، وحين قال الله تعالى ربنا الحق المبين ﴿ وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ الْهُدَىٰ هُدَى اللَّهِ أَن يُؤْتَىٰ أَحَدٌ مِّثْلَ مَا أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَاجُّوكُمْ عِندَ رَبِّكُمْ ۗ قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [سورة آل عمران: ٧٣].

وتألب القوم، واستجهز الثائرون، وتجمهر الخارجون!

وحين راحوا إلى المدينة من مصر والكوفة والبصرة! على هدف واحد هو الانقلاب على صاحب جيش العسرة!

ولكنهم كانوا دهاة أول أمرهم، وحين دخلوا عليه نائبا نائبا، وهو إذ يردهم على أعقابهم، ولأنه قد قرأ صفحة خيوط المقصلة، ولؤم المفعلة!

ولكنهم تظاهروا بالرجوع، وحين قام عليهم أهل المدينة أول المرة!

ولكنهم رجعوا ومن طريقهم مرة أخرى. ويكأنهم هذه المرة قد سنوا أسنانهم، وأظهروا امتعاضهم، ونادوا في الناس، أن من لزم بيته فهو آمن!

ولزم الناس، ودون أن يعلموهم بشيء!

وحين أظهروا أمرهم، ودون مواربة، وإما أن ينعزل الخليفة، وإما العصاة المقصلة!

ولأنه أصبحوا الآن عنه من غنى!

السلام للفكر والثقافة
www.sadaf.net

النيل الأولي من الخليفة الحليمي!

ولكن الخليفة، وكما قلت لم يغب عن باله غشهم هذا، وبل استحضر تآمرهم هذا!

ولكنه؛ ولشيء كان مخبوءا من قدر، كان صفح، وعفا، ولان، وحلم ورأف!

وحين كان يخرج إلى صلاته، وهو إذ كان مراقبا للمشهد كله، وعن كثب!

وإذ ليس يهمه من ذلكم من شيء! ثقة في وعد ربه، وإن الرجل وإلى حال قد استقر، ومن عقده حديثه النبي محمد صلى الله عليه وسلم عنه، وحين جاء: أَنَّ عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عنْه حِينَ حُوصِرَ، أَشْرَفَ عليهم وقالَ: أَنْشُدُكُمُ اللَّهَ، ولَا أَنْشُدُ إلَّا أَصْحَابَ النبيِّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أنَّ رَسولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ قالَ: مَن حَفَرَ رُومَةَ فَلَهُ الجَنَّةُ، فَحَفَرْتُهَا؟ أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أنَّهُ قالَ: مَن جَهَّزَ جَيْشَ العُسْرَةِ فَلَهُ الجَنَّةُ، فَجَهَّزْتُهُمْ؟ قالَ: فَصَدَّقُوهُ بما قالَ[١٢٢].

ومنه فأيا ما كان الأمر، وإنه إلى خير، وأيا ما كان الأمر، فإنه لم يرد أن تلطخ يده، وكما قد أراد الناس أن يلطخوا أيديهم!

وها هو ذو النورين، يخطب في الناس خطابه، وإلا أن الزاعقين كان لهم صوتهم، ومن مسجد التقوى والهدى والنور والقيادة السياسية المحكمة الرائدة!

وليخرج جهجاه الغفاري بصوته، وليعلو هذا الزعيق، ومن نبرته إساءة إلى الأمير، ولتتضح خيوط المؤامرة أكثر!

([١٢٢])صحيح البخاري: ٢٧٧٨

السلام للفكر والثقافة
www.sadal.net

ولكن الذي يحز نفسا، ويؤنب ضمير عبيد لله تعالى أن الناس، ومن متحدثهم، جهجاه الغفاري هذا، لم يرعووا، وحين كان يمسك ذو النورين بعصا النبي محمد صلى الله عليه وسلم، شارة على الانقياد، ودالة على الاتباع! وسبيل الاقتداء والتلقي، ومنهج التأسي والترقي.

ولكنه وماذا أنت قائل، ومن قوم كان دس فيهم ومن أمثال أبي لؤلؤة المجوسي، ومن كمثل عبد الله بن سبأ اليهودي، ومن كمثل ابن السوداء الذمي؟!

فقام إليه جهجاه الغفاري فصاح إليه: يا عثمان ألا إن هذه شارف قد جئنا بها عليها عباءة وجامعة، فانزل فلندرجك في العباءة ولنطرحك في الجامعة ولنحملك على الشارف ثم نطرحك في جبل الدخان.

فقال عثمان: قبحك الله وقبح ما جئت به، ثم نزل عثمان.

قال ابن أبي حبيبة: وكان آخر يوم رأيته فيه[١٢٣]!

النيل الثاني من ذي النورين!

خيوط الفتنة تتقارب

ويكأن الخليفة الشرعي، وإلى وقته هذا، وإلى يوم آخر أيضا، وإنما كان يعسُّ رعيته، ويتفقد أمته، وتقلد مهامه، ومن لا من نوابه، بل من ذات نفسه هو، وإذ يخرج مطالعا أحوالهم، ووقوفا على مسارهم، ومضارهم! ليصلح ما فسد، ويقوم وما عوج!

([١٢٣])تاريخ الطبري، الطبري: ج٣ / ٤٠٠

السلام للفكر والثقافة
www.sadaf.net

وإلا أن القوم وإذ كانت هذه رؤيتهم، وإنما ليسوا بقانعين، وإن قدم إليهم موائدهم على أطباق من ذهب، وهو ليس بفاعل؛ ولأنه يعلم سنن ربه تعالى في هذا!

وإذ كان من تجرؤ أحدهم عليه، وإذ عليه ينفث سمه ونفثه وهزله ورجزه ونفخه، وحين يسبه سبا، ويشتمه شتما، ومن توجيه إهانات، عليها كان الحليم أبرا! وإذ يحتسب شيئا من ذلك وكله سبيل ربه وخالقه!

النيل الثالث من صاحب بئر رومة!

هو هذا الدعي جبلة بن عمرو الساعدي!

وحين مر ذو النورين على نفر من رعيته، ويلقي عليهم السلام فيردون إلا هذا الدعي جبلة بن عمرو الساعدي! ومن قوله هذا، وليرد عليه ذو النورين رده هذا أيضا: فقال جبلة: لم تردون عليه؟ رجل قال كذا وكذا، ثم أقبل على عثمان فقال: والله لأطرحن هذه الجامعة في عنقك، أو لتتركن بطانتك هذه.

فقال عثمان: أي بطانة؟ فو الله لأتخير الناس، فقال مروان تخيرته، ومعاوية تخيرته، وعبد الله بن عامر بن كريز تخيرته، وعبد الله بن سعد بن أبي سرح تخيرته، منهم من نزل القرآن بذمه، وأباح رسول الله ﷺ دمه، قال: فانصرف عثمان فما زال الناس مجترئين عليه إلى هذا اليوم[١٢٤].

وظل الأفاكون بذي النورين وحتى أنزله هذا الدعي جبلة بن عمرو الساعدي من على منبره عنوة، حتى شج من رأسه! وصار مغشيا عليه وحين عاده الصالحون وواساه المخلصون!

([١٢٤])تاريخ الطبري، الطبري: ج٣ / ٤٠٠

السلام للفكر والثقافة
www.sadaf.net

وإذ لم يكتف القوم فعلهم هذا وإنما حاصروه وبيته ومكن حيث قد اشتدت المحنة وكشر البغاة عن انيابهم وحين هددوا وتوعدوا وأزبدوا تجاه صحب أحبوا أميرهم وإلا أنهم ألجأوهم إلى بيوتهم إلجاء!

وغالبوا الناس الصحب الكرام الأبرار.

ولم يظهروا نيتهم قتله أول الأمر، واكتفوا بأحد أمرين: فإما أن يعزل نفسه، أو أن يسلمهم مروان بن الحكم!

واستمر حصارهم له شهرا أو أربعين يوما لإجباره على التنازل!

وكان من شأن هذا أن الأمير قد تغيب عن إمامة الصلاة وغاية ما ذكر التاريخ، وأنه إمكان جمع أن صحبا كانوا يتناوبون على الإمامة للصلاة، ولما كان منهم علي بن أبي طالب، والغافقي بن حرب، وطلحة بن عبيد الله، وسهل بن حنيف.

ذو النورين يحاج البغاة!

عن الأحنف بن قيس أتيتُ المدينةَ وأَنا حاجٌّ، فبَينا نحنُ في مَنازِلِنا نضعُ رحالَنا إذ أتى آتٍ، فقالَ: قدِ اجتَمعَ النَّاسُ في المسجدِ، فاطَّلعتُ، فإذا يعني النَّاسَ مجتمِعونَ، وإذا بينَ أظهرِهِم نفرٌ قعودٌ، فإذا هوَ عليُّ بنُ أبي طالبٍ، والزُّبَيْرُ وطلحةُ، وسعدُ بنُ أبي وقَّاصٍ رحمةُ اللَّهِ عليهم، فلمَّا قُمتُ علَيهِم قيلَ: هذا عثمانُ بنُ عفَّانَ، قد جاءَ، قالَ: فجاءَ وعلَيهِ مُليَّةٌ صفراءُ، فقلتُ لصاحِبي: كما أنتَ حتَّى أنظرَ ما جاءَ بِهِ ؟ فقالَ عثمانُ: أَها هُنا عليٌّ؟ أَها هُنا الزُّبَيْرُ؟ أَها هُنا طلحةُ؟ أَها هُنا سعدٌ؟ قالوا: نعَم، قالَ: فأنشدُكُم باللَّهِ الَّذي لا إلَهَ إلَّا هوَ، أتعلَمونَ أنَّ رسولَ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ علَيهِ وسلَّمَ قالَ: مَن يبتاعُ مِربدَ بَني فلانٍ غفرَ اللَّهُ لَهُ؟ فابتعتُهُ، فأتيتُ رسولَ اللَّهِ، فقلتُ: إنِّي ابتعتُ

السلام للفكر والثقافة
www.sadat.net

مِربدَ بَني فلانٍ، قالَ: فاجعلهُ في مسجِدِنا وأجرُهُ لَكَ، قالوا: اللَّهُمَّ نعَم، قالَ: فأنشدُكُم باللَّهِ الَّذي لا إلَهَ إلَّا هوَ، هل تعلمونَ أنَّ رسولَ اللَّهِ، قالَ: من يبتاعُ بئرَ رومَةَ غفرَ اللَّهُ لَهُ؟ فأتيتُ رسولَ اللَّهِ فقلتُ: قد ابتعتُ بئرَ رومةَ، قالَ: فاجعَلها سقايةً للمسلمينَ وأجرُها لَكَ، قالوا: نعَم، قالَ: فأنشدُكُم باللَّهِ الَّذي لا إلَهَ إلَّا هوَ، هل تعلَمونَ أنَّ رسولَ اللَّهِ قالَ: مَن يُجَهِّزُ جيشَ العُسرةِ غفرَ اللَّهُ لَهُ؟ فجَهَّزتُهُم حتَّى ما يفقِدونَ عقالًا ولا خطامًا، قالوا: نعَم، قالَ: اللَّهمَّ اشهَدْ، اللَّهمَّ اشهَدْ، اللَّهمَّ اشهَدْ[١٢٥].

وعن طلحة بن عبيد الله: أنَّ عثمانَ أشرفَ على الذين حصروه، فسلم عليهم، فلم يردوا عليه، فقال عثمانُ: أفي القومِ طلحةُ؟ قال طلحةُ: نعم، قال: فإنَّا للهِ، وَإِنَّا إِلَيْهِ راجعون، أُسلم على قومٍ أنت فيهم، فلا تردون؟ قال: قد رددتُ، قال: ما هكذا الردُّ أسمعُك ولا تسمعني يا طلحةُ. نَشدتُكَ اللهَ أسمعتَ النبيَّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ يقولُ: لاَ يُحِلُّ دَمَ المُسْلِمِ إلاَّ وَاحِدَةٌ مِنْ ثَلاثٍ: أَنْ يَكْفُرَ بَعْدَ إِيمَانِهِ، أَو يَزْنِيَ بَعْدَ إِحْصَانِهِ، أَوْ يَقْتُلَ نَفْسًا فَيُقْتَلُ بِهَا، قال: اللهمَّ نعمْ، فكبر عثمانُ، فقال: واللهِ ما أنكرتُ اللهَ منذ عرفتُه، ولا زنيتُ في جاهليةٍ ولا الإسلامِ، وقد تركتُه في الجاهليةِ تَكَرُّهًا، وفي الإسلامِ تَعَفُّفًا، ولا قَتلتُ نفسًا يَحلُّ بها قتلي[١٢٦].

ذو النورين يستنجد بعض أمرائه

وحين رأى الخليفة ذو النورين إحكام حصارهم على منزله، استقدم جيوشا من معاوية بالشام، وابن عامر بالبصرة، وأهل الكوفة، فبعث معاوية مسلمة بن حبيب، وانتدب يزيد بن أسد القشيري في جيش، وبعث أهل الكوفة جيشا، وأهل البصرة جيشا.

([١٢٥])صحيح النسائي، الألباني: ٣٦٠٨|

([١٢٦])جامع المسانيد والسنن، ابن كثير: ٥٥٠٤

السلام للفكر والثقافة
www.sadat.net

ولكن الناس أجمعوا أمرهم على قتله، ومن قبل وصول جيوشه نجدته منهم!

النيل الرابع من مجهز جيش العسرة!

تحديث المطالب!

وازدادت مطالب القوم شيئا شيئا، وحين طالبوا أن يعزل نفسه، أو أن يسلم إليهم مروان بن الحكم ليعاقبوه على مساندته ذا النورين! ثم يفتدي من نفسه من كان قد عاقبه!

وأنف رد على كل ذلك.

وزيادة أن الرجل رد عليهم مسألة خلع نفسه، وأنه لن يخلع قميصا ألبسه الله تعالى إياه، قدرا وشرعا ومن بيعة صحيحة!

ولا سيما أن علما نبويا آخر قد أشرق وحين أخبره النبي محمد صلى الله عليه وسلم ولعل الله تعالى أن يلبسه قميصا!

وإذا غالبه أحد على خلعه، فلا يخلعه!

وهذا الذي كان منه إصراره.

والجنة في انتظاره!

فمن حديث عائشة أم المؤمنين: يا عثمانُ إنَّهُ لعلَّ اللَّهَ يقمِّصُكَ قميصًا ، فإن أرادوكَ على خَلعِهِ فلا تخلعهُ لَهُم[١٢٧].

([١٢٧])صحيح الترمذي، الألباني: ٣٧٠٥

السلام للفكر والثقافة
www.sadafi.net

ولعل ذا النورين كان مصيبا أيضا، وحين أخبرهم أنه وإن خلع من يريدون، فماذا هو فاعل فيما لو أمر غيرهم، وجاؤوا هم أو غيرهم يطالبون خلعهم؟!

وإذ كيف تسير دواليب الدولة الإسلامية، وأمرها هو هذا التدخل السافر في إدارة شؤون الدولة!

فراسة أمير

وكرامة ولي!

قال ذو النورين: والله لئن قتلتموني لا تتحابوا بعدي، ولا تصلوا جميعا أبدا، ولا تقاتلوا بعدي عدوا جميعا أبدا، وقد صدق رضي الله عنه فيما قال[١٢٨].

وقد تطايرت الفتن، ومن بعد قتله رضي الله عنه.

النيل الخامس من الشهيد

أيقتل ذو عشرة فضائل؟!

وماذا عند أولئك البغاة، ومن فضل، ومن كمثل ذي النورين هذا؟!

وهو الأمر الذي يجعل أحدنا واضعا يده على صدره؛ خوفا ووجلا، وطمعا في رحمة ربه تعالى ورضاه.

فعن يزيد بن عمرو أنه سمع أبا ثور الفقيمي يقول: قدمت على عثمان فبينا أنا عنده فخرجت فإذا بوفد أهل مصر قد رجعوا، فدخلت على عثمان فأعلمته، قال: فكيف رأيتهم؟

([١٢٨])البداية والنهاية، ابن كثير: ج ٧ / ٢٠٢

السلام للفكر والثقافة
www.sadafi.net

فقلت: رأيت في وجوههم الشر، وعليهم ابن عديس البلوي، فصعد ابن عديس منبر رسول الله ﷺ فصلى بهم الجمعة، وتنقص عثمان في خطبته، فدخلت على عثمان فأخبرته بما قال فيهم، فقال: كذب والله ابن عديس، ولولا ما ذكر ما ذكرت، إني رابع أربعة في الإسلام، ولقد أنكحني رسول الله ﷺ ابنته ثم توفيت، فأنكحني ابنته الأخرى، ولا زنيت، ولا سرقت في جاهلية ولا إسلام، ولا تعنيت ولا تمنيت منذ أسلمت، ولا مسست فرجي بيميني منذ بايعت بها رسول الله ﷺ، ولقد جمعت القرآن على عهد رسول الله ﷺ، ولا أتت علي جمعة إلا وأنا أعتق فيها رقبة منذ أسلمت، إلا أن لا أجدها في تلك الجمعة فأجمعها في الجمعة الثانية[١٢٩].

من أغمد سيفه فهو حر

هذا قول رجل قامت عليه رعيته!

وهذا حقن للدماء أمانة في أعناق الولاة!

وحين تجمهر البغاة حوالي بيت ذي النورين؛ رغبة قتله، أو أن يخلع قميصا ألبسه إياه ربه تعالى ومن بيعة صحيحة! وأن يسلمهم مروان بن الحكم!

وحين تجمهر أولياؤه رغبة مناصرته والذود عنه وإلا ان الرجل رأى المصلحة ألا تسفك دماء ولو واحدا وإن سفك دمه هو!

ولأنه ولئن سفك دمه فله عند الله أجره!

وليست تتبقى بقية من ثأر يتركها وراءه تركة تأكل الأخضر واليابس من بعده!

([١٢٩])البداية والنهاية، ابن كثير: ج ٧ / ٢٠٣

السلام للفكر والثقافة
www.sadafi.net

وهذا بعد نظر!

وهذا توفيق وإلهام من رب العزة الأنام!

وإذ أقسم الرجل أيضا على محبيه ومناصريه من الصحب الكرام من المهاجرين والأنصار وألا يخرجن أحدهم له سيفا، وحين قال أيضا قوله هذا: أقسم على من لي عليه حق أن يكف يده وأن ينطلق إلى منزله!

وإن الرجل ليعلم أن لو نزل على رغبتهم نصرته، وإذ ولربما آتت أكلها!

ولكنه هو بعد النظر، الذي قد حكيت لك عنه!

ولكنه هو ذلكم التنظر في المآل، لحكاية الأقوال، ونتائج الأفعال!

وثمة جانب أرعى، وحين لم يغب عن ذهنه، ولبه، وعقله، وفؤاده، هو ذلكم علم النبوة، وأن قميصه، ولسوف يعمل قوم على خلعه منه!

ولست أقول استسلاما؛ ولأنه هذا شأن قدري كوني، وإنما أقول إن هذا هو الإذعان لمراد الله تعالى وشرعه، وحين كان علما من أعلام نبوة هذا النبي محمد صلى الله عليه وسلم.

وفضلا أن الرجل كان قد رأى ومن رؤياه لحاقه بإخوانه البررة الميامين، ومن أمثال كأبي بكر، ومن أمثال عمر الفاروق!

السلام للفكر والثقافة
www.sadafnet

عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: " أَنَّ عُثْمَانَ أَصْبَحَ فَحَدَّثَ، فَقَالَ: إِنِّي رَأَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْمَنَامِ اللَّيْلَةَ، فَقَالَ: (يَا عُثْمَانُ، أَفْطِرْ عِنْدَنَا)، فَأَصْبَحَ عُثْمَانُ صَائِمًا، فَقُتِلَ مِنْ يَوْمِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ "[١٣٠].

هذا، وقد حكت امرأته نائلة بنت الفرافصة ذلك أيضا، ومن قولها: " أُغْفِيَ عُثْمَانُ فَلَمَّا اسْتَيْقَظَ قَالَ: "إِنَّ الْقَوْمَ يَقْتُلُونَنِي"، قُلْتُ: كَلَّا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، قَالَ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَبَا بَكْرٍ، وَعُمَرَ، وقَالُوا: (أَفْطِرْ عِنْدَنَا اللَّيْلَةَ) أَوْ قَالُوا: (إِنَّكَ تُفْطِرُ عِنْدَنَا اللَّيْلَةَ) "[١٣١].

وقل لي بالله عليك: وما شأن عبد علم أنه ليس يفرق بينه وبين الجنة التي أنباه إياها نبيه وصهره، هو هذا النبي محمد صلى الله عليه وسلم، وإلا هكذا أن تصعد روحه إلى السماء؟!

وإذ وما ظن عبد مصدق لمولاه الحق المبين، وهو علم وعلَّم نفسه والناس أن الله تعالى قال: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا ۚ بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٩].

وإذ وما ظنك بعبد قضى نحبه كله، ومن بين عبودية لله، كانت صادقة، وإذ كان من ثمارها، هو ذلكم التوفيق الرباني، لعبيد، وحين ألهم أن يكون عبدا، مؤمنا، صادقا، متقلبا طول عمره بين نفحات الإيمان، ودلائل التوحيد، وبراهين العرفان؟!

وإلا أن يقول، وكما قال صحبه من قبل: وإنها لحياة طويلة!

أيقعد عن الجنة ليأكل بضع تمرات؟!

([١٣٠])المستدرك، الحاكم: (٤٥٥٤)، وصححه، ووافقه الذهبي، وفي إسناده أبو جعفر الرازي ، وهو صدوق سيئ الحفظ.
"تقريب التهذيب، ابن حجر العسقلاني: (ص: ٦٢٩) .
([١٣١])تاريخ المدينة، ابن شبة: (٤/ ١٢٢٧).

السلام للفكر والثقافة
www.sadat.net

وهذا الذي كان عند القوم، وحين استوت في ضمائرهم هذه الدنيا: أن يخلدوا فيها، أو ألا يقعدوا فيها ولو من لحظة واحدة!

والشأن أن الجنة ونعيمها قد أعدت لهم مقاعدهم فيها!

وها هي الجنة تتجهز لملاقاة عبد كانت رغبته الملحة فيها!

إن الرجل قد قتلوه وهو إذ يمسك مصحفا تاليا فيه!

وحسبه ذلك!

إن الرجل ومن تصديق رؤياه فعل فعله هذا!

إن الرجل ومن تصديق رؤياه كان قد ارتدى على ذات نفسه سراويل عدة، ولم يعهد عنه ذلك من قبل؛ ولأنه كان أشد حياء، وهذا تصديق الخبر النبوي عنه، وحين قال هذا النبي محمد صلى الله عليه وسلم يوما: أشد أمتي حياء عثمان!

إن الرجل أعتق عشرين من مواليه يومه هذا!

إن الرجل قد عصم دماء الأمة، وإن كان ثمن ذلك دماءه هو!

إن الرجل سمع ورأى: أنَّ النَّبيَّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ صَعِدَ أُحُدًا، وأَبُو بَكْرٍ، وعُمَرُ، وعُثْمَانُ، فَرَجَفَ بِهِمْ، فَقَالَ: اثْبُتْ أُحُدُ؛ فإنَّما عَلَيْكَ نَبِيٌّ، وصِدِّيقٌ، وشَهِيدَانِ[١٣٢].

([١٣٢])صحيح البخاري: ٣٦٧٥

السلام للفكر والثقافة
www.sadafu.net

يا بن أخي، ما كان أبوك ليأخذ بلحيتي

هذا قول ذي النورين لمحمد بن أبي بكر، وحين أخذ بلحيته، وهم بقتل أمير المؤمنين عثمان بن عفان!

ويقال إنه استحيا من فعله، وحين سمع قول ذي النورين هذا، ورجع عن همه!

﴿ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [البقرة: ١٣٧].

هذا قرآن ربنا تعالى، وهذا الذي كان آخر ما قرأه ذو النورين، صاحب بئر رومة، ومجهز جيش العسرة، وأصدق الناس، وأشدهم حياء، وهو الذي تستحي منه الملائكة أيضا!

وحين كان قد سال دمه حسبة، وشهادة للتاريخ، وعبرة للمعتبرين، وتذكرة للمتقين، وحجة على البغاة المعتدين!

هل صدقت هذه الوثيقة؟!

ونذكر للتاريخ أن قوما قد ادعوا على ذي النورين، أنه أرسل كتابا إلى أمير مصر، فيه الأمر بقتل بعضهم، وصلب بعضهم، وبقطع أيدي بعضهم وأرجلهم. ومتأولا في هذا قول الله تعالى ﴿ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَافٍ أَوْ يُنفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [المائدة: ٣٣].

وقولنا:

أولا: إنه يجب التحقيق في صحة نسبتها إليه من عدمها.

وثانيا: وعلى فرض ثبوتها عنه، وإنما هذا ولربما عد تأولا.

السلام للفكر والثقافة
www.sadal.net

وثالثا: تميل النفس إلى عدم صحتها؛ ولأن الرجل أقسم على مناصريه، إلا أن يلزموا الثبات، ولا ينتقموا من أحد قاتل أو شارك في إثم هذا الممات!

وهذا جيل فريد، لم يكن يعرف طوية، كطوية من عداه!

وصية ذي النورين!

بسم الله الرحمن الرحيم، عثمان بن عفان يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدا عبده ورسوله، وأن الجنة حق، وأن النار حق، وأن الله يبعث من في القبور، ليوم لا ريب فيه إن الله لا يخلف الميعاد، عليها يحيا وعليها يموت، وعليها يبعث إن شاء الله تعالى[١٣٣].

وبعد:

وقدمت رجلا للتاريخ كان من شأنه أن رغد الناس في زمنه، وكما لو لم يكونوا يوما ما فقراء! وحين ذكر التاريخ أن قد كثر المال في زمن عثمان حتى بيعت جارية بوزنها وفرس بمائة ألف درهم ونخلة بألف درهم[١٣٤]!

وها هم يقتلونه وعن غنى!

فعن مبارك بن فضالة قال سمعت الحسن يقول سمعت عثمان يخطب وهو يقول يا أيها الناس ما تنقمون علي وما من يوم إلا وأنتم تقسمون فيه خيرا قال الحسن وشهدت مناديا ينادى يا أيها الناس اغدوا على أعطياتكم فيغدون ويأخذونها وافية يا أيها الناس اغدوا على أرزاقكم فيأخونها

([١٣٣])مختصر منهاج القاصدين: ابن قدامة المقدسي: ٩٧

([١٣٤])اغتنم، ابن عبد البر: ج ٣ / ١٠٤١

السلام للفكر والثقافة
www.sadafi.net

وافية حتى والله سمعته أذناي يقول اغدوا على كسواتكم فيأخذون الحلل واغدوا على السمن[١٣٥].

وإذ وماذا كانوا فاعلين، ولو كان قد تركهم يتكففون الناس؟!

قدمت رجلا للتاريخ، لم يجد وقتا لاستحصال زكوات الناس الشخصية!

وإذ ليس لديه من وقت إلا لتوزيع خيرات أفاضتها السماء على بيت مال المسلمين يومه هذا!

قدمت رجلا للتاريخ، وقد كان سمحا، ولما لم يكن البغاة إلا قساة غلاظا!

قدمت رجلا للتاريخ، وها قد فعل ما لم يعتبوا، ولا كانوا أن يجرؤوا أن يعاتبوا من قبله الفاروق؛ ومن شدته في الحق!

وهذه شهادة التاريخ موثقة، وهذه أنباؤه محفورة في سجلاته، جيلا ومن بعد جيل آخر؛ وليعرف التاريخ أيضا!

فعن عبد الله بن عمر قال: لقد عتبوا على عثمان أشياء ولو فعلها عمر ما عتبوا عليه[١٣٦].

أو حتى أبو بكر، ورغم لين قد عرف عنه!

قدمت رجلا للتاريخ، ولولا أنه كان حييا، ولربما قطع على قاتليه جميعا خطوط إمدادهم، وها هم لا زالوا في براريهم، ومن وراء بحارهم! فلم يستطيعوا له نقبا!

قدمت رجلا للتاريخ، حقن دماء أمة كاملة، ولو راح دمه هو!

([١٣٥])اغتنم، ابن عبد البر: ج ٣ /١٠٤١

([١٣٦])اغتنم، ابن عبد البر: ج ٣ / ١٠٤١

السلام للفكر والثقافة
www.sadafi.net

في إشارة، ولمحة، وتعجب، ونظر عميق!!!

قدمت رجلا أقسم على محبيه ألا ينالوا من قاتليه!

قدمت رجلا فتح الأمصار، وأسلم الأقطار!

وها هم الذين رباهم يوما يفتون في عضده يوما آخر!

و﴿ هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾ [سورة الرحمن: ٦٠]!

ويكأن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله تعالى هابيل وقابيل!

وقال الله تعالى ﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ ۖ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ * لَئِن بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ ۖ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ * إِنِّي أُرِيدُ أَن تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ ۚ وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ﴾[سورة المائدة: ٢٧ – ٢٩].

قدمت رجلا للتاريخ، كان يأمره رعيته، أن يتوب فتاب، وأن يستغفر فاستغفر، وأن يؤوب فآب!

وحين أنبأتنا سجلات تاريخ ليس يكذب، أن عمرو بن العاص قام إلى عثمان وهو يخطب الناس فقال يا عثمان إنك قد ركبت بالناس المهامه وركبوها منك فتب إلى الله عز وجل وليتوبوا قال فالتفت إليه عثمان فقال وإنك لهناك يا بن النابغة ثم رفع يديه واستقبل القبلة وقال أتوب إلى الله اللهم إني أول تائب إليك[١٣٧].

(١٣٧)اغتنم، ابن عبد البر: ج ٣ / ١٤٤١

السلام للفكر والثقافة
www.sadafi.net

وحين أشاروا عليه بالأخذ بالحزم ومعاقبة المناوئين. وتأبى! قال عمرو بن العاص : انه قد لان لهم في المقال. ولم يجزهم بما استحقوه من جزاء.

السلام للفكر والثقافة
www.sadal.net

المصادر

١- كتاب سير أعلام النبلاء - ط الحديث، شمس الدين الذهبي.

٢- لسان العرب، ابن منظور.

٣- كنز العمال، المتقي الهندي.

٤- صحيح الترمذي، الألباني.

٥- سنن الترمذي.

٦- صحيح البخاري.

٧- صحيح مسلم.

٨- عمدة القاري، العيني.

٩- المستدرك على الصحيحين الحاكم.

١٠- المعجم الكبير، الطبراني.

١١- معرفة الصحابة لأبي نعيم الأصبهاني.

١٢- كنز العمال، المتقي الهندي.

١٣- ضعيف أبي داود، الألباني.

١٤- كتاب محض الصواب في فضائل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، ابن المبرد.

السلام للفكر والثقافة
www.sadal.net

١٥- صحيح مسلم.

١٦- صحيح ابن ماجه، الألباني.

١٧- تاريخ الإسلام، الذهبي.

١٨- الصحيح المسند، الوادعي.

١٩- السيرة النبوية، ابن هشام الحميري.

٢٠- تاريخ الطبري، الطبري.

٢١- صحيح الجامع، الألباني.

٢٢- فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني.

٢٣- ضعيف الترمذي، الألباني.

٢٤- تفسير القرآن العظيم، ابن كثير.

٢٥- البداية والنهاية، ابن كثير.

٢٦- تقريب التهذيب، ابن حجر.

٢٧- تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي.

٢٨- التفسير الكبير، الرازي.

٢٩- التحرير والتنوير، ابن عاشور.

السلام للفكر والثقافة
www.sadal.net

٣٠- سنن أبي داود.

٣١- عمدة القاري، العيني.

٣٢- أسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير الجزري.

٣٣- العقد الفريد، ابن عبد ربه.

٣٤- تاريخ ابن خلدون.

٣٥- صحيح النسائي، الألباني.

٣٦- جامع المسانيد والسنن، ابن كثير.

٣٧- تاريخ المدينة، ابن شبة.

٣٨- اغتنم، ابن عبد البر.

٣٩- زاد المعاد، ابن القيم الجوزية.

السلام للفكر والثقافة
www.sadal.net

الفهرس

الريحان والعرفان في مناقب عثمان بن عفان..... ١

تقديم وتمهيد..... ١

بسم الله الرحمن الرحيم..... ٣

وبعد:..... ٣

اسمه ونسبه..... ٦

ذو النورين..... ٧

جيش العسرة..... ٧

فأما الرواية الأولى:..... ٨

وأما الرواية الأخرى:..... ٩

من أوقاف عثمان..... ١٢

بئر رومة..... ١٢

الفاروق الثالث!..... ١٣

علمه وجمعه..... ١٣

وصية النبي صلى الله عليه وسلم به..... ١٤

هاجر الهجرتين..... ١٤

أوتي أجرين!..... ١٥

السلام للفكر والثقافة
www.sadafi.net

ثناء علي عليه..... ١٥
هل جاء وصف عثمان في الكتب السابقة؟..... ١٥
جمع القرآن في عهد عثمان بن عفان..... ١٨
علم نبوة ضاف..... ١٩
ووصف لعثمان واف..... ١٩
ألا أستحي من رجل تستحي منه الملائكة!..... ٢٢
مشروعية المبيت بمكة أيام التشريق لعذر..... ٢٣
وأما القول الأول:..... ٢٤
وأما القول الثاني:..... ٢٤
هل تجب على الجنين؟..... ٢٥
تخلفه عن غزوة بدر..... ٢٥
إني أخاف قريشا على نفسي..... ٢٦
مرحلة عثمان بن عفان..... ٢٨
أمانة السفير تمنحه ثقة أطراف العلاقة:..... ٢٩
خاتمة القول في صلح الحديبية..... ٢٩
مسألة التخلف عن الصفوف..... ٣٠
سر اختيار أبي عبيدة- أمين هذه الأمةِ- أمير هيئة الإمداد والتموين يوم ذات السُّلَاسِلِ..... ٣٠

السلام للفكر والثقافة
www.sadal.net

إنه لا ينبغي لنبي أن تكون له خائنة الأعين..... ٣١
إهدار دم عبد الله بن خطل..... ٣١
فنحن نقصر ما بقينا بين تسع عشرة فإذا زدنا أتممنا[0]..... ٣٢
أحدهما:..... ٣٤
والثاني:..... ٣٥
عثمان ومسألة التعري..... ٣٨
أحداث السنة الرابعة والعشرين..... ٣٩
بيعة عثمان..... ٣٩
يحضركم عبد الله - يعني: ابنه - وليس إليه من الأمر شيء..... ٣٩
ما أظن الناس يعدلون بعثمان وعلي أحدا..... ٤٠
لستما من هذا في شيء..... ٤٠
إني كنت أظن أن تدافعوها ولم أكن أظن أن تنافسوها..... ٤١
البيعة الخاصة:..... ٤٢
البيعة العامة:..... ٤٢
اللهم لا ولكن على جهدي من ذلك وطاقتي..... ٤٣
خطبة البيعة..... ٤٤
ومن ولي من أمر أمتي شيئا فرفق بهم، فارفق به..... ٤٥

السلام للفكر والثقافة
www.sadal.net

إكرام واقتداء..... ٤٦
حيلة شرعية ماهرة..... ٤٦
وهذا عمل الشورى..... ٤٧
اتباع لا ابتداع..... ٤٧
تجديد دماء الهرم الإداري..... ٤٨
عهد جهادي جديد..... ٤٨
من مبادئ القانون الدستوري في الإسلام..... ٤٨
فابعث رجلا أمينا كريما شجاعا..... ٤٩
سنة الرعاف..... ٥٠
أحداث السنة الخامسة والعشرين..... ٥٠
أحداث السنة السادسة والعشرين..... ٥١
وليس على داره بابـ..... ٥٢
السنة السادسة والعشرون..... ٥٢
السنة السابعة والعشرون..... ٥٣
فتح إفريقية..... ٥٣
فتح الأندلس..... ٥٣
فتح بلاد البربر..... ٥٣

السلام للفكر والثقافة
www.sadafu.net

السنة الثامنة والعشرون..... ٥٥
فتح قبرص..... ٥٥
علم نبوة ضاف..... ٥٥
أنت منهم..... ٥٥
أتبكي وهذا يوم أعز الله فيه الإسلام؟!..... ٥٦
موت أم حرام..... ٥٨
السنة الثلاثون..... ٥٩
المسألة الأولى: قصة لا تثبت..... ٥٩
المسألة الثانية: مسألة عزل ذي النورين الوليد بن عقبة..... ٦٠
فقدان خاتم النبوة..... ٦٢
بين معاوية وأبي ذر..... ٧٢
علم نبوة ضاف..... ٧٣
غزوة ذات الصواري..... ٧٥
وإنما يُنصَرُ المسلمون بمعصية عدوهم لله..... ٧٥
ولماذا الصوائف؟..... ٧٦
عسكرة القائد أياما..... ٧٧
بذور الفتنة وعوامل الفرقة (١)!..... ٧٧

السلام للفكر والثقافة
www.sadal.net

مآلات الطغاة ونهايات البغاة..... ٧٩
مقتل كسرى ملك الفرس وهو يزدجرد..... ٧٩
بشائر فتح القسطنطينية..... ٨٣
الاختلاف شر..... ٨٤
الإسلام يفتح بلاد السند..... ٨٥
ما تشاؤون؟..... ٨٥
إذا لم تستطع شيئا فدعه * وجاوزه إلى ما تستطيع..... ٨٦
أربعة آلاف يهزمون أربعين ألفا!..... ٨٧
فن عسكري باهر..... ٨٧
فن إداري باهر..... ٨٨
وفاة أبرار..... ٨٨
السنة الثالثة والثلاثون..... ٩٠
بعث قراء الكوفة إلى الشام..... ٩٠
السنة الرابعة والثلاثون..... ٩٤
بذور الفتنة وعوامل الفرقة (٢)!..... ٩٤
أصول التشيع اليهودي!..... ٩٨
السنة الخامسة والثلاثون..... ١٠١

السلام للفكر والثقافة
www.sadaf.net

إشهاد الثقلين على فضل ذي النورين..... ١٠١
نبأ كدير وشر مستطير!..... ١٠١
تاريخ شاهد!..... ١٠٤
هل للرجل شأن مع عبدالله بن سبأ؟!..... ١٠٥
وقفة معاوية..... ١٠٦
هل هي مآخذ على عثمان حقا!..... ١٠٧
أما الحمى:..... ١٠٨
وأما المصاحف:..... ١٠٨
وأما إتمامه الصلاة بمكة:..... ١٠٨
وأما توليته الأحداث:..... ١٠٨
وأما إيثاره قومه بني أمية:..... ١٠٨
شأن عمار ومحمد بن أبي بكر:..... ١٠٨
مسألة النفي والإبعاد والرد:..... ١٠٩
موقف مروان بن الحكم..... ١١٠
موقف علي بن أبي طالب..... ١١١
تجميع الفرقاء!..... ١١١
النيل الأولي من الخليفة الحليمي!..... ١١٣

السلام للفكر والثقافة
www.sadaf.net

النيل الثاني من ذي النورين!..... ١١٤
خيوط الفتنة تتقارب..... ١١٤
النيل الثالث من صاحب بئر رومة!..... ١١٥
هو هذا الدعي جبلة بن عمرو الساعدي!..... ١١٥
ذو النورين يحاج البغاة!..... ١١٦
ذو النورين يستنجد بعض أمرائه..... ١١٧
النيل الرابع من مجهز جيش العسرة!..... ١١٨
تحديث المطالب!..... ١١٨
فراسة أمير..... ١١٩
وكرامة ولي!..... ١١٩
النيل الخامس من الشهيد..... ١١٩
أيقتل ذو عشرة فضائل؟!..... ١١٩
من أغمد سيفه فهو حر..... ١٢٠
يا بن أخي، ما كان أبوك ليأخذ بلحيتي..... ١٢٤
﴿ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [البقرة: ١٣٧]..... ١٢٤
هل صدقت هذه الوثيقة؟!..... ١٢٤
أولا:..... ١٢٤

السلام للفكر والثقافة
www.sadal.net

وثانيا:..... ١٢٤
وثالثا:..... ١٢٥
وصية ذي النورين!..... ١٢٥
وبعد:..... ١٢٥
المصادر..... ١٢٩
الفهرس..... ١٣٢